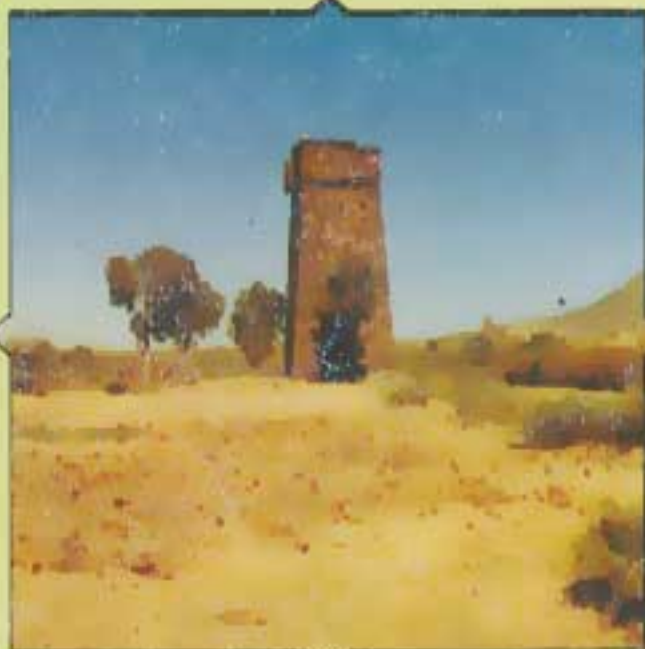




هذم بلادنا



بلاد زهران

تأليف

عبد بن مسفر بن حسين الزهراني

أبو دوس

منتديات زهران

www.zahran.org

الرناسة العامة لرعاية الشباب

www.zahran.org
زهران



هذه بلادنا

بلاد زهران

تأليف

د. محمد مسفر حسين الزهراني

الطبعة الثانية

الرئاسة العامة لرعاية الشباب

وكالة شؤون الشباب

الادارة العامة للنشاطات الثقافية

الرياض ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م



هذا الكتاب

يسعدني أن أقدم باكورة الإنتاج في سلسلة كتب (هذه بلادنا) التي تهدف الرئاسة من ورائها إلى إمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية التي تبرز تاريخ الوطن في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة وتعمل على تسجيل التراث الفكري والفني والعادات والتقاليد في المملكة... هذا بالإضافة إلى كونها تجميعاً لنشاط المحاضرات الذي تقوم بتنفيذه الإدارة العامة للنشاطات الثقافية.

ولعلنا بهذا العمل نساهم في تشجيع البحث والباحثين لربط الماضي بالحاضر وتسجيل ما طرأ عليه من معطيات العصر الحديث لتكون نبراساً هادياً لشباب الغد وتقديم ما يساعدهم على معرفة الحقائق ويجعلهم يفخرون بما قدمه السلف وإتاحة الفرصة لهم لصنع مستقبل بلادهم...

ومن حسن حظ الباحث في هذه الأيام وفرة المراجع والمعاجم التي تساعده على تلمس الطريق وتوفير له الوقت وتسهيل له مهمة البحث ليصل إلى ما يريد... وذلك بعكس ما كان عليه الحال في الأجيال القريبة الماضية حيث كان المؤرخون يجوبون البلاد من مشرقها إلى مغربها في سبيل الحصول على أية معلومة عن تاريخ بلادهم، وكثيراً ما كانوا يأخذون الحقائق من أفواه الشعراء وأثارهم وذلك لندرة المصادر المباشرة التي تتحدث عن أي بلد من البلدان أو موقع من المواقع...

وإنه من الأفضل لأي أمة من الأمم أن تكتب تاريخها بنفسها عن طريق أبنائها المخلصين الذين أتيحت لهم فرصة التعلم والوصول إلى أرقى الدرجات

العلمية وذلك بالرجوع إلى أمهات الكتب والبحث والتنقيب في المعاجم والاستفسار والتمحيص بالاتصال بالمعمرين من أبناء هذه البلاد وبذلك نستطيع الكتابة عن أي جزء من أجزاء الوطن بصورة مبسطة ومباشرة تساعد الأجيال القادمة على التعرف على تاريخ أمتهم دون تعب أو عناء . . .

وإنني أتمنى لهذه السلسلة النمو والازدهار. وللإدارة العامة للنشاطات الثقافية التي تقوم بإصدارها التوفيق والنجاح. ، ، ،

الرئيس العام لرعاية الشباب
فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

هذه السلسلة هي مجموعة من الكتب ليس المقصود منها مجرد النشر فقط ، ولكنها جاءت امتدادا طبيعيا لنشاط الإدارة العامة للنشاطات الثقافية في مجال المحاضرات . . . فقد عملت الإدارة على تنويع برامج المحاضرات ، واختارت من الموضوعات الشيقة ما يهم كافة المواطنين ، وليس هناك من شك في أن كل إنسان يشعر بالحنين إلى البقعة التي نشأ فيها ويهمه أن يتبين تاريخها . . . فإن كان صغيرا يهمه أن يعرف أمجاد بلاده وتاريخ أسلافه ، وإن كان كبيرا فإن حديث الذكريات يشجيه ويذكره بأفراحه وأتراحه ومراتع صباه ، ومن هنا كان اختيار تاريخ البلاد موضوعا لتلك المحاضرات التي سيتم تجميعها في سلسلة من الكتب إن شاء الله .

وسوف يحتوي كل كتاب من هذه السلسلة على بحث قام بإعداده أحد المتخصصين يتحدث فيه عن تاريخ بلدة أو إقليم من البلدان وطننا الحبيب وعن أهمية تلك البلدة وتقاليدها التراثية وعاداتها وأنواع الفنون بها وملامح النهضة العمرانية والزراعية وأوجه الحياة فيها وذلك بعد الرجوع إلى المراجع التي تحدثت عن الموضوع والالتقاء بأهل البلدة من المعمرين والشيوخ في سلسلة من المحاضرات والندوات ودارت حولها المناقشات ثم تأتي مرحلة تجميع هذا البحث على ضوء المناقشات ويتم عرضه قبل طباعته على بعض ذوي الاختصاص من مؤلفي المعاجم لمراجعته وإجازته .

وتهدف الإدارة من وراء ذلك إلى تطوير برامج المحاضرات وتشجيع ملكة البحث والتأليف وإمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية وإبراز تاريخ المملكة في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة تسجل التراث الفكري والفني في أرجاء الوطن.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الإدارة العامة للنشاطات الثقافية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . . وبعد .

تعد منطقة بلاد زهران من المناطق الهامة في المملكة العربية السعودية ، فهي بحكم موقعها الجغرافي همزة وصل بين المنطقتين الغربية والجنوبية ، كما أن ثرواتها الزراعية والحيوانية تجعلها رافداً هاماً من روافد الإنتاج الذي يغذي أسواق المملكة ، ولهذا علقت عليها الرئاسة العامة لرعاية الشباب أهمية خاصة ، ودعتني بصفتي واحداً من أبناء المنطقة لكتابة شيء عنها يوضح موقعها وتاريخها وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية ، وها أنذا ألبى شاكراً جهود الرئاسة العامة ، وأقدم هذا البحث المتواضع ، متحريراً في تدوينه الصدق والأمانة العلمية والبعد عن العاطفة ، ومعتمداً بعد الله على مشاهداتي وما لمستته بنفسي من أحوالها ، بالإضافة إلى معلومات بعض كبار السن من رجالها ممن يوثق فيهم . هذا فضلاً عن رجوعي إلى ما كتب عن بلاد زهران في الكتب التاريخية والأدبية القديم منها والحديث وقد حرصت قدر الامكان على اختصار البحث ، إذ خير الكلام ما قل ودل ، ولي أمل في الله كبير أن تلقى هذه الصفحات بعض الضوء على أحوال هذه البلاد ، ليتعرف من خلالها بقية سكان مملكتنا الناهضة على مجريات الأمور في هذا الجزء من بلادهم ، بلاد الأمن والرخاء والاستقرار .

وقد تحدثت بتركيز تام عن الموضوعات التالية :

- ١ - لمحة جغرافية
- ٢ - نبذة تاريخية
- ٣ - الناحية الإدارية
- ٤ - الحياة الاجتماعية
- ٥ - الحياة الاقتصادية
- ٦ - السياحة
- ٧ - التعليم

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، ،

الدكتور/ محمد بن مسفر حسين الزهراني

الموقع والحدود والسكان :

تقع بلاد زهران في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية في أواسط جبال الحجاز وتهامة أى بمحاذاة الليث شرقاً . وتبعد عن مدينة الطائف مائة وثمانين كيلومتراً تقريباً ، وهي بالنسبة لها في الجنوب الشرقي . كما أنها تبعد عن (أبها) مركز منطقة عسير (١٢) مرحلة للمشاة أو تزيد . (١)

ويحدها شمالاً بالحارث «بنو الحارث» وبنو مالك ، وجنوباً بلاد غامد وزبيد وغرباً إمارة الليث والبحر والأحمر ، وشرقاً بادية غامد (جبال عيسان) .
ويقدر سكانها (٣٥٠.٠٠٠) بثلاثمائة وخمسين ألف نسمة تقريباً جميعهم من الحضر ، ويسكنون ما يقارب (٥٠٠) خمسمائة قرية ، منتشرة في كافة أنحاء بلاد زهران : سراة ، وتهامة .

السطح :

ينقسم سطح بلاد زهران إلى قسمين رئيسيين هما :

١ - مرتفعات جبال السراة .

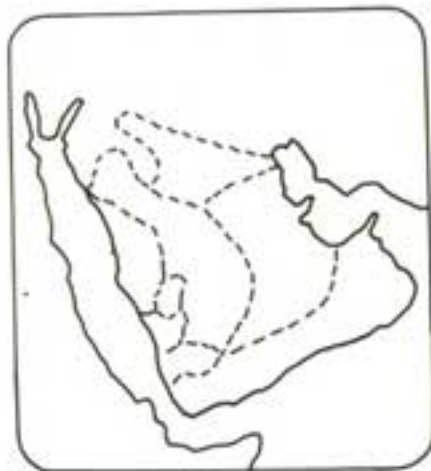
٢ - سهل تهامة .

١ - مرتفعات جبال السراة :

تقع هذه المرتفعات شرق سهل تهامة ، وهي جزء من سلسلة جبال السروات الممتدة على طول ساحل المملكة العربية السعودية الغربي ، وهي جبال شديدة الانحدار - نحو الغرب - قليلة المنافذ ، صعبة المسالك ، يزيد ارتفاعها على (٢٢٠٠) متر تقريباً ، فوق سطح البحر . ومن أهم جبالها وأشدها ارتفاعاً جبال بيضان ، وجبل

(١) فؤاد حمزة - في بلاد عسير - ص (٨٧)

منطقة الباحة
« غامد وزهران »



الانصب، وجبل سيحان والعرنين وجبل الازهر، وجبل شمرخ، وجبل البراقه .
وتحصر هذه الجبال فيما بينها أودية كثيرة جداً أهمها:
ا - وادي تربة:

وهو أطول أودية بلاد زهران وأوسعها حوضاً، ويبدأ من سفوح جبال بيضان
وبني حسن، ويتجه شمالاً حتى ينتهي في تربة النخل ويزيد طوله على (٣٠٠)
كيلومتر على وجه التقريب، ومياه هذا الوادي لا تنقطع معظم أيام السنة .
ب - وادي بطحان:

ويبدأ من سفوح جبال بني عامر وبني حسن ويتجه أيضاً نحو الشمال حيث
يلتقي مع وادي تربة على بعد (١٥٠) كيلومتراً من منبعه، ويكونان معاً وادياً
واحدًا، وهذا الوادي في شرق بلاد زهران .



وادي مُليب بتهامة زهران، ويظهر على جوانبه شجر الأراك

جـ - أودية قصيرة أهمها :

- ١ - أودية رمس والحوية والشاعر والحبارى ومعداه والجنش وتنصب في وادي تربة .
- ٢ - أودية منضحة ومنحل والتويمات ، وتنصب في وادي بطحان وقد قامت سلسلة جبال السراة سداً منيعاً من الغرب ، بحيث يتعذر عبورها إلا من فجوات حفرتها الطبيعة ، ونحتتها بين ملتقى الجبال وتقاطع الأودية ، ويطلق سكان بلاد زهران على تلك الفجوات اسم العقاب ومن أهمها : عقبة ذي منعة ، وعقبة السعبرة بدوس ، وعقبة بلخزمر ، وعقبة بعره ، وعقبة الجوفاء ببني حسن ، وعقبة مساعد ببيضان .

وقد قامت هذه العقبات حارساً أميناً على البلاد ، فظلت بعيدة عن سيطرة الفاتحين إلا لما (١) ، وهذا مكنها من الاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها العربية الأصيلة .

٢ - سهل تهامة :

سهل تهامة زهران جزء من سهل تهامة الذي يمتد من أقصى شمال المملكة العربية السعودية إلى أقصى جنوبها ، والمنحصر بين سلسلة جبال السروات شرقاً والبحر الأحمر غرباً . ويترأوح طول سهل تهامة زهران من تهامة بني مالك شمالاً ، إلى زبيد وغامد الزناد جنوباً ، ما بين ١٥٠ ، ٢٠٠ كيلومتر تقريباً ، ويترأوح عرضه من جبال السراة شرقاً إلى الحدود الإدارية لإمارة الليث والبحر الأحمر غرباً ما بين (١٠٠ ، ١٥٠) كيلو متراً تقريباً .

ويأخذ سهل تهامة زهران في الارتفاع التدريجي كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق ولهذا نجد سطحه يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي :

- ١ - تهامة الساحل في الغرب (ويطلق الأهالي على هذا الجزء من سهل تهامة «الخبث»).
- ٢ - تهامة العروض في الوسط ، وتكثر فيها الجبال المعترضة ذات الارتفاع الشاهق .
- ٣ - تهامة الإصدار في الشرق .

(١) فزاد حمزة - في بلاد عسير - ص (٩١)

ويوجد فيها جبال شاهقة الارتفاع غزيرة المياه، خصبة التربة أهلة بالسكان أهمها: جبل شدا زهران، وجبل نيس، وجبل ربا، وجبل نخرة، وتشتهر هذه الجبال بزراعة البن والموز والليمون، وفي قممها تعيش الوحوش الكاسرة كالذئاب والنمور.



قمة قارة في جبل شدا بنهامة زهران

وتتجه أودية سهل تهامة زهران من الشرق إلى الغرب وتصب في البحر الأحمر ومن أهمها: وادي دوقه ووادي ناوان ووادي الاحسبة، ووادي رما، ووادي غليله، ووادي لقط، وعلى حوافها تقوم قرى تهامة.



جانب من وادي ثروق ببلاد دوس في سراة زهران

المناخ:

مناخ بلاد زهران غني عن التعريف، ويمتاز بلطفه واعتداله مما سيجعل هذه البلاد في المستقبل القريب من أكبر وأجل مصائف المملكة العربية السعودية التي يؤمها الناس هرباً من حرارة الصيف ورطوبته.

ويمكن أن نفرق هنا بين نوعين من المناخ هما:

١ - مناخ مرتفعات جبال السراة.

٢ - مناخ سهل تهامة.

١ - مناخ مرتفعات السراة:

وهذا المناخ يشبه إلى حد كبير مناخ (الهدى) وهو عموماً معتدل جاف صيفاً، بارد ممطر شتاءً، وتهب في فصل الصيف الرياح الشمالية الشرقية، وهي رياح جافة، لأنها تهب من مناطق جافة، أما في فصل الشتاء، فتهب الرياح الجنوبية الغربية، وهي رياح

ممطرة تتشبع بالرطوبة أثناء مرورها على البحر الأحمر.

٢ - مناخ سهل تهامة

حار شديد الرطوبة صيفاً، معتدل ممطر شتاءً، ويتعرض سهل تهامة لهبوب الرياح الشمالية الشرقية الجافة في فصل الصيف، وهبوب الرياح الجنوبية الغربية الممطرة في فصل الشتاء.

وتقل كمية الأمطار الساقطة على بلاد زهران على وجه العموم بالتدرج كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق، وبالتالي تتدرج الحياة النباتية من أشجار كثيفة في الغرب إلى شجيرات ونباتات فقيرة في أقصى الشرق.



وادي نبرا ويقع في غرب جبل شدا بتهامة زهران

ستحدث في هذا القسم تركيز عن تاريخ بلاد زهران قديماً وحديثاً لإعطاء القارئ الكريم صورة واضحة عن ماضي هذه القبيلة وحاضرها.

١ - تاريخ بلاد زهران قديماً:

زهران قبيلة أزدية قحطانية يتصل نسبها بالأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (١) وأخذت هذه القبيلة اسمها من جدها زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد (٢). وكانت قبيلة زهران ضمن قبائل الأزد التي نزحت من اليمن، وتفرقت في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية. وتروى لنا المصادر التاريخية قصة نزوح قبائل الأزد من اليمن، وتتلخص في أن عمرو بن عامر بن حارثة الغطريف كان من أعظم ملوك مأرب في الزمن القديم، وكان له حول سد مأرب كثير من الحداثق لدرجة أن الجارية كانت تمشي من بيتها وعلى رأسها مكتل فيمتلىء فاكهة من غير أن تلمس شيئاً. ويقال أن عمرو خرج يوماً يتنزه حول سد مأرب فرأى جرذاً يحفر في السد، فأدرك أن السد مهدد بالانهيار، الأمر الذي جعله يعزم على الانتقال من اليمن إلى بلاد أخرى (٣) فدبر مكيذة تمكنه من الارتحال دون أن يتأثر قومه، فأمر أصغر أولاده أن يتشاجر معه أمام الناس وإذا أغلظ عليه ولطمه رد عليه اللطمة. ففعل ابنه ذلك فقال عمرو: «لا أقيم ببلد لطم فيه وجهي أصغر ولدي» وبالتالي باع أملاكه لأشراف اليمن من حمير ونزح، فقالت الأزد «لا نتخلف عن عمرو بن عامر» وخرجوا معه (٤)، وافترقوا إلى نيف وعشرين قبيلة، منها: غسان، وجفنة، والأوس والخزرج، وخزاعة ومازن وثمالة وخثعم

(١) ابن حزم: جبهة أنساب العرب، ص ٣٧٩

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٦

(٣) الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ٢٤٩

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١ ص ٩ احمداي: صفة جزيرة العرب ص ٣٦٩ ابن عدي: العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٧٥

وزهران وغامد (١) . . فنزلت الأوس والخزرج يثرب (المدينة المنورة) ونزلت خزاعة بطن
مر بالقرب من مكة، ونزلت زهران وغامد مرتفعات السراة. وسار بعض أولاد دوس بن
عدثان بن عبدالله بن زهران الى أرض تهامة فأقاموا بها (٢) .

وأنا أرى أن هذا السبب ليس كافياً لنزوح الأزد من اليمن وأرجح مارواه
الزركلي (٣) ومؤداه أن دولة سبأ ضعفت في عهد عمرو بن عامر فتغلب بدوكهلان على
أرض سبأ، وعاثوا فيها فساداً، فأهمل سد مأرب فتصدع وخرب، فنزحت قبائل الأزد
من موطنها نتيجة لذلك . .

ويلاحظ أن بعض رجال زهران اتجهوا إلى شرق الجزيرة العربية، وكونوا إمارة
عربية في عمان قبل الإسلام (٤) . كما عبر قسم آخر الخليج العربي إلى بلاد فارس
وسكنوا أحد جبال كرمان ويدعى الفقس (٥) وسكن بعض الدوسيين الحيرة ونواحيها
من بلاد العراق وأسسوا مملكة بها، كان من أشهر ملوكها جذيمة بن مالك بن فهم بن
غنم بن دوس الملقب بالابرش (٦) .

ويلاحظ أن لفظ (دوس) قد طغى إلى حد كبير على لفظ (زهران) في الجاهلية
وصدر الإسلام، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يكتفون بذكر دوس بدلاً من زهران بينما
ظن آخرون أن دوسا قبيلة مستقلة تماماً عن زهران، وهذا خطأ، فدوس قبيلة من قبائل
زهران، وجزء لا يتجزأ منها (٧) . . وأفضل تعليل لغلبة اسم دوس هو ما ذكره الشيخ
حمد الجاسر (٨) ومفاده أن رجال قبيلة دوس انتشروا خارج بلادهم، وتمكن بعضهم من
تأسيس إمارتين عربيتين في عمان والحيرة. كما أن بعض الدوسيين سارعوا في قبول
الدعوة الإسلامية فنالوا مكانة سامية في صدر الإسلام، وبرز بعضهم في جانب من
جوانب المعرفة. هذا فضلاً عما عرف عن رجال دوس من إخلاص وصدق في تلقي

(١) جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤ ص ٢٦٠

(٢) حمد الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٢٢٣، نقلاً عن كتاب السيرة المنسوب لدغفل (مخطوط) ورقة ٥٨

(٣) الاعلام: ج ٥ ص ٢٤٩

(٤) الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٢٦٢

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤ ص ٣٨٠ - ٣٨١

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: ج ١ ص ٢٠٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٢٧

(٧) ابن دريد: الاشتقاق، ص ٤٩٦

(٨) في سراة غامد وزهران، ص ٢٦٦ - ٢٦٧

الدعوة، وما أظهره من شجاعة وإقدام في الفتوحات الإسلامية مما زاد في رفع منزلة القبيلة واشتهارها. وعلى هذا الأساس إذا قلنا الطفيل بن عمرو الدوسي أو الزهراني فالنسبة في كلتا الحالتين صحيحة.

٢ - الحالة الدينية:

كانت عبادة الأصنام هي العبادة السائدة في بلاد زهران في الجاهلية، وكان لزهران أصنامها المشهورة شأنها في ذلك شأن قبائل العرب آنذاك، ومن أشهر تلك الأصنام ذو الكفين وذو الخلصة وذو الشرى^(١). وقد بعث رسول الله ﷺ سنة ٨ هـ سرية بقيادة الطفيل بن عمرو الدوسي إلى بلاد زهران فهدم ذا الكفين^(٢). كما أرسل الرسول ﷺ جرير بن عبد الله البجلي في مائة وخمسين فارساً لهدم ذي الخلصة، فهدمه جرير، وأحرقه بالنار^(٣).

ولما بعث رسول الله ﷺ ودعا الناس إلى الدخول في الإسلام كانت قبائل زهران من السابقين إليه، فأسلموا وحسن إسلامهم، وتذكر لنا الكتب التاريخية قصة طويلة عن إسلام زهران، مفادها أن الطفيل بن عمرو الدوسي قدم إلى مكة المكرمة، ورسول الله ﷺ بها فخشى رجال قريش أن يستجيب الطفيل لدعوة الرسول فيدخل في الإسلام فاجتمعوا به، وحذروه من الاستماع للرسول عليه الصلاة والسلام، وما زالوا به حتى صمم على أن لا يسمع منه شيئاً، غير أن الله أراد خلاف ذلك حيث دخل الطفيل البيت الحرام، وكان رسول الله ﷺ قائماً يصلي بجوار الكعبة، فسمع كلاماً حسناً ألان قلبه، وملك عليه جوارحه، فأسلم وحسن إسلامه^(٤)، وعاد إلى بلاد دوس بزهران ودعا قومه للإسلام فأسلم جماعة منهم وقدم معه إلى المدينة المنورة سبعون أو ثمانون أهلاً بيت، وكان رسول الله ﷺ آنذاك في غزوة خيبر، فيقال أنه قسم لهم من غنيمتها^(٥) وهكذا دخل رجال زهران في الإسلام، وأظهروا قدراً كبيراً من الصدق والإخلاص في تلقي الدعوة، ويذكر السمعاني^(٦) أن الطفيل بن عمرو الدوسي قدم إلى

(١) انظر: كتاب الأصنام لهشام بن محمد الكلبي

(٢) الواقدي: المغازي ج ٣ ص ٩٢٣، ابن سعد: الطبقات، ج ٢ ص ١٥٧

(٣) الكلبي: الأصنام، ص ٣٤، الأزرقى: أخبار مكة، ج ١ ص ٣٧٨

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١ ص ٤٠٧ - ٤٠٨

(٥) ابن سعد: الطبقات، ج ١ ص ٣٥٣، الواقدي: المغازي، ج ٢ ص ٦٨٣

(٦) الأنساب: ج ٥ ص ٤٠١

رسول الله ﷺ قبل هجرته الى المدينة، وعرض عليه أن يذهب معه إلى بلاد دوس، ليتولى رجال دوس نصرته وقال له: «هلم إلى حصن حصين، وعدد وعدة» ويصف السمعياني بلاد دوس بأنها كانت بلاد حصينة منيعة «في رأس جبل لا يؤتى إلا في مثل الشراك» كما أظهر رجال زهران قدراً كبيراً من الشجاعة والإقدام وأبلوا بلاءً حسناً في الفتوحات الإسلامية، فشاركوا في فتح مصر^(١) وفي فتح بلاد العراق^(٢) والشام^(٣) والأندلس^(٤) ولعب الطفيل بن عمرو الدوسي وابنه عمرو دوراً بارزاً في قتال المرتدين، وقتل الطفيل رضي الله عنه في معركة اليمامة^(٥).

وكان رسول الله ﷺ يثق في رجال قبيلة دوس الزهرانية ويعتمد عليهم في مهام الأمور وعلى سبيل المثال يذكر بعض المؤرخين^(٦): أن الرسول ﷺ أعد العدة في السنة الثامنة من الهجرة لغزو الطائف، فبعث الطفيل بن عمرو الدوسي إلى بلاد دوس لهدم الصنم «ذا الكفين»، وأمره أن يعد قومه ويوافيه بالطائف، فاستجاب الطفيل لذلك، وذهب الى الطائف بعد هدم الصنم المذكور في أربعمائة مقاتل من قومه، ومعهم دبابة ومنجنيق، وشاركوا في تلك الغزوة.

ولما توفي رسول الله ﷺ خشي سواد بن قارب الدوسي أن يرتد رجال دوس عن الاسلام فخطب فيهم خطبة بليغة، منها:

«يا معشر الأزدي ان سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم، ومن شقاوتهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم، وان من لم تنفعه التجارب ضرته، ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل... الخ»^(٧).

(١) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٢

(٢) ابن حجر: الإصابة، ج ٢ ص ٥٣٦

(٣) الواقدي: فتوح الشام، ج ١ ص ١٥٦

(٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٨٣

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١ ص ٤١١

(٦) الواقدي: المغازي، ج ٣ ص ٩٢٣

ابن سعد: الطبقات، ج ٢ ص ١٥٧

(٧) السهيلي: الروض الأنف، ج ١ ص ١٤٠

فأجابه القوم ، والتزموا بقوله ، فقال في ذلك :

جلت مصيبتك الغداة سواد
ابقى لنا فقد النبي محمد
حزنا لعمرك في الفؤاد مخامرا
كنا نحل به جنابا ممرعا
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا
كان العيان هو الطريف وحزنه
ان النبي وفاته كحياته
لو قيل تفدون النبي محمدا
وتسارعت فيه النفوس ببذلها
هذا وهذا لا يرد نبينا
اني احاذر والحوادث حجة
ان حل منه ما يخاف فأنتم
لو زاد قوم فوق منية صاحب
وأرى المصيبة بعدها تزداد
صلى الاله عليه ما يعتاد
وهل لمن فقد النبي فؤاد
جف الجناب فأجذب الرواد
وتصدعت وجدا به الاكباد
باق لعمرك في النفوس تلاد
الحق حق والجهاد جهاد
بذلت له الاموال والاولاد
هذا له الاغياب والاشهاد
لو كان يفديه فداه سواد
أمرا لعاصف ريحه ارعاد
للارض ان رنجفت بنا أوتاد
زدتم وليس لمنية مزداد (١)

٣ - أشهر رجال زهران في الجاهلية والإسلام:

برز من زهران رجال كثيرون اشتهروا بالبسالة والحكمة في الجاهلية والعلم والأدب في الإسلام ، فكان منهم الملك المهيّب والقائد الباسل والمحدث الثقة والأديب اللامع والشاعر المجيد ، وسنترجم هنا لبعض هؤلاء الرجال على سبيل الاختصار لا الحصر.

١ - في الجاهلية:

١ - جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس:

كان من أفضل ملوك العرب رأيا وحزما وشجاعة (٢) ، وكان والده مالك بن

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب - مختصر سيرة الرسول ، ص ٦٢

(٢) الطبري: ج ١ ، ص ٦١٢

فهم أول ملك للعرب في بلاد العراق، وحكم لمدة عشرين سنة (١)، ثم خلفه ابنه جذيمة فحكم ستين سنة (٢)، ويذكر الجاحظ (٣) أن جذيمة من أشهر القدماء في الحكمة والخطابة والرئاسة، وهو أول من أسرج الشمع، ورمى بالمنجنيق.

٢ - حمزة بن الحارث بن رافع الدوسي :

سيد دوس في الجاهلية، ومن أسخى رجال العرب آنذاك، وهو مطعم الحاج بمكة في موسم الحج (٤)، وقد اشتهر بالحكمة وسداد الرأي وسرعة البديهة (٥).

٣ - عمرو بن حمزة بن الحارث الدوسي :

أحد حكام العرب في الجاهلية (٦)، ويقال إنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة فاعتبر من المعمرين، وكان يلقب بذي الحلم (٧). ويذكر ابن حبيب (٨) أن عمرو بن حمزة كان يتعمم مخافة أن يفتتن النساء بجمالهن الفائق. ويروى أن أعرابياً سأل عبدالله بن عباس (رضي الله عنه) عن قول الشاعر:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرر العصا

وما علم الانسان الا ليعلما

فقال ابن عباس: ذاك عمرو بن حمزة الدوسي قضى بين العرب ثلاثمائة سنة فالزموه السابع أو التاسع من أولاده فكان إذا غفل قرع له العصا فينتبه (٩). ويذكر ابن حزم (١٠)، أن عمرو كان من المهاجرين الأولين إلى رسول الله ﷺ.

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢ ص ٦٥، ابن الأثير: الكامل ج ١ ص ٣٤١

(٢) الأمدى: المؤلف والمختلف ص ٣٩

(٣) البيان والتبيين، ج ١ ص ١٩١

(٤) ابن عبدربه: العقد الفريد، ج ١ ص ٣٠٢

(٥) القالي: الأمالي، ج ٢ ص ٢٧٦

(٦) اليعقوبي: ج ١ ص ٢٥٨

(٧) الزركلي: الاعلام، ج ٥ ص ٧٧، ابن حجر: الإصابة، ج ٢ ص ٥٣٣

(٨) المحبر: ص ٢٣٢

(٩) المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢٠٩، ابن حجر: الإصابة، ج ١ ص ٣٤٩

(١٠) الجمهرة: ص ٣٨٣

٤ - سواد بن قارب الدوسى :

كان سواد بن قارب من أعلم أهل وقته ، وأشهرهم في الكهانة والشعر ، ومن أطولهم باعاً في جميع المكارم (١) ، وكان له مقام رفيع في دوس ، وقد اشتهر في الإصابة في التعبير ، ويروى أنه خرج خمسة نفر من طي يريدون سواد بن قارب ليختبروا علمه ، فلما قربوا من السراة ، قالوا ليخبأ كل واحد منا خبيثاً ، ولا يخبر به أصحابه ، لنسأل سواد عنه ، فإن أصاب عرفنا علمه ، وإن أخطأ ارتحلنا عنه . فخبأ كل واحد منهم شيئاً ، ثم ذهبوا إلى سواد وأهدوا إليه إبلا وطرفاً من طرف الحيرة ، فاستقبلهم أحسن استقبال ونحر لهم النياق ، فلما انتهت أيام الضيافة ، سأله عما خبأوه ، فأخبرهم بالأشياء المخبأة ، فصدقوه ثم ارتحلوا عنه بعد أن ظهر لهم أن ما قيل لهم عنه لا يساوى شيئاً مع سعة علمه وتبصره بالأمور ، فقال شاعرهم :

ألا لله علم لا يجارى	إلى الغايات في جنبى سواد
أتيناه نائله امتحاناً	ونحسب أن سيعمد بالعناد
فأبدى عن خفى مخبات	فأضحى سرها للناس بادی
حسام لا يليق ولا يثائى	عن القصد الميم والسداد (٢)
كان خبيثنا لما انتجينا	بعينيه يصرح أو ينادى

ولما بعث رسول الله ﷺ قدم سواد إليه فأسلم وحسن إسلامه . (٣)

٥ - حاجز بن عوف بن الحارث الزهراني :

شاعر جاهلي مقل ، ويعد من الصعاليك الذين كانوا يغيرون على أقدامهم على العرب ، ومن كان يسبق الخيل عدوا (٤) ، ويذكر ابن منظور (٥) ، أن حاجزا كان من أغربة العرب (سودانهم) ، ويسجل حاجز في

(١) الألوسى : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج ٣ ص ٢٩٩

(٢) يليق : يمسك ، يثائى : يجبس

(٣) ابن هشام : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨

(٤) الزركلى : الاعلام ، ج ٢ ص ١٥٣ ، يوسف خليف : الشعراء الصعاليك ص ٢٢٠

(٥) لسان العرب : ج ١ ص ٦٤٦

قصائده اعتزازه بقبيلته ، وافتخاره برجالها ويذكر أيامهم التي انتصروا فيها ،
فيقول في إحدى قصائده (١) :

ان تذكروا يوم القرى فانه بواء بأيام كثير عديدها
ويوم كراء قد تدارك ركضنا بني مالك والخيل صعر خدودها
ويوم الاراكاث اللواتي تأخرت سراة بني لهيان يدعو شريدها
ونحن صبحنا الحي يوم تنومة بملمومة يهوى الشجاع وثيدها
ويوم شروم قد تركنا عصابة لدى جانب الطرفاء حمرا جلودها

وكان الشاعر حليفا لبني غزوم من قريش ، وفي ذلك يقول (٢) :

قومي سلامان اذا ما كنت سائلة وفي قريش كريم الحلف والحسب
اني متى أدع غزوما ترى عنقا لا يرعشون لضرب القوم من كشب

٦ - أبو أزيهر بن أنيس الدوسي :

كان أبو أزيهر شريفا في قومه دوس ، وكان حليفا لأبي سفيان بن حرب ،
وكانت والدته أبي سفيان دوسية ، الأمر الذي أدى إلى وجود رابطة وثيقة بين
دوس وقريش ، وازدادت هذه العلاقة متانة عندما زوج أبو أزيهر ابنته عاتكة أبا
سفيان ، فولدت له محمدا وعنبسة ، وزوج ابنته زينب عتبة بن ربيعة ، وزوج
ابنته الثالثة الوليد بن المغيرة ، ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه مع أنه أخذ
صداقها (٣) ، وذلك لأنه علم أن الوليد يسيء معاملة نسائه ويضربهن (٤) .
فلما حضرت الوليد الوفاة أوصى بنيه أن يأخذوا الصداق من أبي أزيهر ، فأتوا
أبا أزيهر وهو في سوق ذي المجاز وقتلوه ، فأدى هذا إلى حدوث قتال بين دوس
وقريش (٥) ، ليس هذا البحث مجالا للخوض فيه .

(١) يوسف خليف : الشعراء الصعاليك ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨

(٢) حمد الجاسر : في سراة غامد وزهران ، ص ٣١٧

(٣) ابن حبيب : المنمق في أخبار قريش ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، الزبيرى : نسب قريش ، ص ٣٢٣

(٤) ابن حبيب : المنمق ٢٣٦

(٥) ابن حبيب : المنمق ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، الزبيرى : نسب قريش ص ٣٢٣ - ٣٢٤

ب - فى الإسلام :

١ - أبو هريرة (رضي الله عنه) :

وهو عمير بن عامر بن عبد ذى الشرى الدوسى الزهراني ، صاحب رسول الله (ﷺ) ومن كبار رواة حديثه . وقد اختلف أهل النسب في اسمه ، فقال بعضهم : اسمه عمير بن عامر بن عبد ذى الشرى ، وقال آخرون : اسمه عبدالرحمن بن صخر ، وقال بعض ثالث : اسمه عبد نهم بن عامر ويقال إنه اجتمع في اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولاً . وروى الترمذي عن عبيد الله بن أبي رافع قال : « قلت لأبي هريرة لم كنيت بأبي هريرة ؟ قال : كنت أرعى غنم أهلي ، وكانت لي هرة صغيرة ، فكنت أضعها في الليل في شجرة ، وإذا كان النهار ذهبت بها معي ، فلعبت بها ، فكنوني أبا هريرة . » .

وقد أجمع أهل الحديث أن أبا هريرة أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له وذلك لأنه كان جريئاً على أن يسأل رسول الله (ﷺ) عن أشياء لا يجزؤ غيره على السؤال عنها ، بالإضافة إلى أنه منذ أن أسلم في الفترة الواقعة بين صلح الحديبية ، وغزوة خيبر كان ملازماً لرسول الله (عليه الصلاة والسلام) يغزو معه ، ويحج برفقته ، ويسير بجانبه حيث سار . ويقال إن له خمسة آلاف وثلاثمائة حديث . ويكفيه فخراً واعتزازاً شهادة سيد الأنام له بالحرص على العلم والحديث (١) .

وقد أرسله رسول الله (ﷺ) برفقة العلاء بن الحضرمي لدعوة المنذر بن ساوى العبيدى - ملك البحرين - إلى الإسلام كما استعمله الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على البحرين ثم عزله . ولما تولى الإمام على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) مهام الخلافة أراد أن يستعمله فرفض (٢) ولم يزل يسكن المدينة المنورة حتى توفى (رحمه الله) في سنة ٥٧ هـ وقيل سنة ٥٨ هـ .

(١) ابن حجر - المصدر السابق ج ٤ - ص ٢٠٠

(٢) ابن عمر القرطبي - الاستيعاب في أسماء الأصحاب - ج ٤ - ص ٢٠٦

٢ - معيقب بن أبي فاطمة الدوسي :

صحابي جليل ، من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية (١) ، وكان رضي الله عنه أميناً على خاتم النبي ﷺ (٢) واستعمله أمير المؤمنين أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على الفقه (٣) . كما ولي بيت المال لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (٤) . ثم تولى أمانة الخاتم في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان (٥) . ويذكر الزركلي (٦) أن هذا الصحابي من أهل بدر ، وشهد خيبر مع الرسول ﷺ . وتوفي رضي الله عنه سنة ٤٠ هـ .

٢ - جندب بن عمرو بن حممة الدوسي :

صحابي جليل ، ومقاتل شجاع ، وكان يقول في الجاهلية « إن للخلق خالفا ولكن لا أدري من هو » (٧) وهذا يدل على أنه كان يميل للحنيفية . ولما علم ببعثة الرسول ﷺ قصد إليه مسلماً ، وشارك في كثير من الحروب الإسلامية ، وكان في معركة اليرموك قائداً لبعض الكراديس (٨) ، ويذكر أنه عساكر (٩) أن جندباً خاطب الأزد في تلك المعركة قائلاً :

« يا معشر الأزد إنه لا ينجو من الإثم والقتل والعدو إلا من قاتل ، ألا وأن المقتول شهيد ، والخائب من فر » .

ثم قاتل رضي الله عنه حتى قتل .

وقد ترك جندب رضي الله عنه ابنته أم أبان عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل مشاركته في حروب الشام وقال له : « إن وجدت لها كفواً فزوجها » .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ١ ص ٣٤٦ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٤ ، ص ١١٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٤٩١

(٢) الذهبي : سيرة أعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٤٩١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١٩٩

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ص ٤٩١

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٣ ص ٤١٦

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ص ٤٠٣

(٦) الأعلام ، ج ٨ ص ١٩٤

(٧) ابن حجر : الإصابة ، ج ١ ص ٢٥٠

(٨) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٣٩٧ ، الكراديس جمع كردوس وهو القطعة العظيمة من الخيل

(٩) التاريخ الكبير ، ج ٣ ص ٤١٢

ولو بشراك نعله ، وإلا فأمسكها حتى تلحقها بدار قومها» . فبقيت أم أبان عند عمر تدعوه أباهما إلى أن زوجها من عثمان بن عفان رضي الله عنه فولدت له أبناءه عمرو وخالد وأبان (١) .

٣ - جنادة بن أبي أمية الزهراني :

صحابي جليل ، وقائد بحري محنك ، شهد فتح مصر (٢) وكان قائداً لغزو الروم من خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) حتى زمن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٣) . دعاه معاوية بن أبي سفيان ليستشيريه في إرساله في غزوة بحرية ، فقال له جنادة : «إنما أنا سهم من كنانتك فارم بي حيث شئت» وقال في أول غزوة بحرية له : «اللهم إن الطاعة علي وعلى هذا البحر ، اللهم إنا نسألك أن تسكنه ، وتسيرنا فيه» (٤) .

وقد قام جنادة بفتح جزيرة رودس سنة ٥٣هـ (٥) ، وفتح جزيرة ارواد سنة ٥٤هـ (٦) ، وقام بعدد كبير من الغزوات البحرية ، ويذكر ابن حزم أن معاوية أراد استلحاقه أخا كما فعل بزياد ، فرفض جنادة ذلك (٧) .

٤ - الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسي :

شاعر فارس من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام ، قدم مع أبيه الطفيل بن عمرو وقومه دوس إلى المدينة المنورة في السنة السابعة من الهجرة ، وجدد إسلامه على يد رسول الله ﷺ . ومن أشهر قصائده نقتطف هذه الأبيات :

يا دار من ماوى بالسهب بنيت على خطب من الخطب
اذ لا ترى الا مقاتلة وعجانسا يرقلن (٨) بالركب

(١) ابن حجر ، الإصابة ، ج ١ ص ٢٥١

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ٦ ص ٣٤٩ ، (ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، ص ٥١٣

(٣) القرطبي : الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، ج ١ ، ص ٢٤٤

(٤) ابن عساکر : التاريخ الكبير ، ج ٣ ص ٤٠٩

(٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٢٨٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٤٩٣

(٦) الطبري ، ج ٥ ص ٣٩٢

(٧) جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٨٦

(٨) عجانس : الجمال الضخمة

ومدججاً يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب
إلى أن يقول:

جانيك من يجني عليك وقد تعدى الصحاح (١) مبارك الحرب
وقد قال الحارث هذه القصيدة في حرب وقعت بين دوس وبين بني الحارث (٢).

٥ - كعب بن سور الدوسي:

فقيه قاضي من التابعين، ولي القضاء في البصرة في عهد الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وخرج في معركة الجمل وفي غنفة مصحف ليصلح بين الناس فجاءه سهم فقتله (٣).

٦ - الحارث بن عبدالله بن وهب الدوسي:

صحابي جليل من العقلاء وذوى الرأي، كان من المقربين لخالد بن الوليد رضي الله عنه، وكان يثق به ويستشير في مهام أموره العسكرية، وقد شهد الحارث معركة اليرموك وشهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان. وولاه معاوية البصرة سنة ٤٥ هـ. ويذكر ابن حجر (٤) أن الحارث كان ضمن السبعين رجلاً الذين قدموا من دوس على الرسول في السنة السابعة من الهجرة.

٧ - مسدد بن مسرهد بن مسربل الدوسي:

الإمام المحدث الكبير، كان حجة حافظاً، وهو أول من صنف مسنداً في الحديث النبوي الشريف، وكان من مشايخ أئمة الحديث كالبخاري وأبي داود وغيرهم، وكان معاصراً للإمام أحمد بن حنبل، وعلى صلة وثيقة به (٥). وتوفي سنة ٢٢٨ هـ.

(١) الصحاح: الصحيح من الأبل

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٣ ص ٢٢٥

(٣) ابن دريد: الاشتقاق، ص ٥٠٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦ ص ١٤٩

ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٨٠

(٤) الإصابة، ج ١ ص ٢٨٢

(٥) أبو يعلى: طبقات الحنابلة، ج ١ ص ٣٤١-٣٤٢، الذهبي سير أعلام النبلاء، ج ١٠ ص ٥٩١-٥٩٤

٨ - الخليل بن أحمد الفراهيدي :

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، نسبة إلى فراهيد بن شبابة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، سيد أهل الأدب قاطبة في علمه وزهده (١) ، وهو رائد المعجمات الأولى في العربية ، فهو الذي ابتكر التأليف المعجمي (٢) ، وكان غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس ، ومن أشهر تلاميذه الأصمعي وسيبويه والنضر بن شميل . كما أنه أول من استخراج علم العروض وضبط اللغة (٣) . وكان شاعراً مقلداً ، وزاهداً في الدنيا ومنقطعاً إلى العلم ، وله عدد من المؤلفات منها :

* كتاب العين

* كتاب العروض

* كتاب الشواهد

* كتاب النقط والشكل وغيرها (٤) .

ويذكر الحلبي (٥) أنه لم يكن للعرب بعد الصحابة رضوان الله عليهم أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع ، وهو مفتاح العلوم ومصرفها ، ولقد كان الأمراء يقصدونه ويتعرضون له لينال منهم ولم يكن يفعل لزهده وعلو نفسه وشدة تعففه . وكان سفيان الثوري يقول : « من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فليُنظر إلى الخليل » (٦) . وتوفي رحمه الله سنة ١٧٠ هـ وعمره أربع وسبعون سنة .

٩ - أبو بكر بن دريد :

محمد بن الحسن بن دريد ، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ وكان أبوه من الرؤساء وذوي اليسار ، وكان عالماً باللغة وأشعار العرب (٧) حتى قيل أنه أعلم الشعراء

(١) ابن الأنباري : نزهة الألباء ، ص ٤٥

(٢) أحمد عبد الغفور عطار : مقدمة الصحاح ، ص ٥٤

(٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ٤٨-٤٩ ، ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ٤٥

(٤) الفهرست ص ٤٨-٤٩ ، ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١١ ص ٧٥

(٥) مراتب النحويين ، ص ٢٨ - ٢٩

(٦) ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١١ ص ٧٤

(٧) ابن النديم (الفهرست ، ص ٩١)

وأشعر العلماء (١) وقد تخرج على يديه كثير من العلماء والأدباء منهم أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني وأبو عبد الله المرزباني مؤلف معجم الشعراء وأبو الحسن المسعودي، مؤلف مروج الذهب، وأبو علي القالي صاحب كتاب الأمالي (٢) وغيرهم.

وقد علا كعب بن دريد في دنيا الشعر بقصيدته المقصورة المشهورة والتي أثارت حوله ضجة صاخبة لما حوته من فن واقتدار وحكم ومثل وتسجيل لحوادث التاريخ وبلغت ٢٥٠ بيتاً وترجمت إلى عدة لغات (٣). ومن أشهر مؤلفاته: كتاب الجماهر في علم اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب المقتبس وكتاب أدب الكاتب وغيرها (٤).

١٠- علي بن الحسن الهنائي الدوسي:

عالم لغوي، عرف بكراع النمل لقصره أولدمايته عاش بمصر، وكان كوفي المذهب، وأخذ عن البصريين وله عدد من المؤلفات منها: «المنجد» و«المنتخب» و«المنضد» و«المجرد» و«أمثلة غريب اللغة» (٥). ويذكر ابن النديم (٦) أن كتب هذا العالم كانت موجودة بمصر في القرن الرابع الهجري ومتداولة بين طلاب العلم. وتوفي سنة ٣١٠هـ.

١١- المعافى بن عمران بن نفيل:

أحد وجوه دوس بمدينة الموصل، وولد بها سنة نيف وعشرين ومائة، ويصفه بعض المؤرخين بشيخ الإسلام، وياقوتة العلماء. كان ثقة خيراً فاضلاً، وكان لكرمه وسخائه لا يأكل وحده. تنقل في البلاد طلباً للحديث، فجالس العلماء، وجمع بين العلم والورع والسخاء والزهد. وله مصنفات في الزهد والسنن والفقه والأدب وغير ذلك (٧).

(١) البغدادى: تاريخ بغداد، ج٢ ص ١٩٥

(٢) ياقوت: معجم الأدباء، ج١٨ ص ١٢٨

(٣) انظر الترجمة المفصلة لابن دريد في مقدمة كتابه الاشتقاق

(٤) ابن النديم: الفهرست، ص ٦٧

(٥) ابن النديم: الفهرست ص ٩١-٩٢، الزركلى: الاعلام: ج٤ ص ٢٧٢، كحالة: معجم المؤلفين، ج٧ ص ٧١

(٦) الفهرست: ص ٩٢

(٧) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٨١ وما بعدها، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٩ ص ٨٠-٨٥

ويذكر الذهبي (١) أن المعافي كان في الفرح والحزن واحداً، قتلت له الخوارج ولدين، فما ظهر عليه الجزع واجتمع عنده بعد مقتلها جماعة من أصحابه، فأحسن وفادتهم ثم قال لهم: «أجركم الله في فلان وفلان» ويضيف الأزدي (٢) أن المعافي قال لجماعة قدموا إليه بعد معرفة مقتل ولديه: «إن كنتم جئتم تعزوني، فلا تعزوني، ولكن هنتوني» فهنوه، وما برحوا من عنده حتى غداهم، وطيبهم بالمسك.

١٢- أبو الجوزاء:

أوس بن عبد الله الربعي الزهراني، محدث جليل، من خيار التابعين، ومن كبار المحدثين، كان عابداً فاضلاً، توفي سنة ٨٣ هـ (٣).

١٣- مسلم بن إبراهيم الفراهيدي:

ثقة صدوق، أخذ الحديث عن ثمانمائة شيخ وقيل عن ألف شيخ، وهو أكبر شيخ لأبي داود ويحيى بن معين (٤). مات سنة ٢٢٢ هـ.

١٤- سليمان بن داود الزهراني:

أبو الربيع، مقرئ محدث حافظ، ولد بالبصرة سنة نيف وأربعين ومائة وسكن بغداد، أخذ الحديث عن الإمام مالك بن أنس وأخذه عنه الإمامان مسلم وأبو داود. وله كتاب جامع في القراءات ومصنف في الحديث مرتب على الأبواب الفقهية (٥).

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٩ ص ٨٣

(٢) تاريخ الموصل، ص ٨٢

(٣) السمعاني: الأنساب، ج ٦ ص ٧٦-٧٧

(٤) السمعاني: الأنساب، ج ١٠ ص ١٦٦

(٥) السمعاني: الأنساب، ج ٦ ص ٣٤٩-٣٥٠

الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠ ص ٦٧٦-٦٧٧

الزركلي: الأعلام، ج ٣ ص ١٢٥

كحالة: معجم المؤلفين، ج ٤ ص ٢٦٢

هذا بالإضافة إلى عدد آخر من العلماء والمحدثين منهم بشر بن عمر الزهراني
وسليمان بن جنادة الدوسي وكثير بن زياد البرساني الزهراني ومحمد بن بكر البرساني
الزهراني وغيرهم (١) .



الحصون الشاغرة في بلاد زهران

٢ - تاريخ بلاد زهران حديثاً :

حالة بلاد زهران قبل قيام المملكة العربية السعودية :

في الفترة التي سبقت عهد الأمان والرخاء والاستقرار، عهد آل سعود الكرام كانت بلاد
زهران تتبع لمصرفية عسير، وذلك أثناء حكم الدولة العثمانية (٢) وبطبيعة الحال كانت تلك
التبعية إسمية فقط، لبعد بلاد زهران عن مركز الدولة العثمانية ولصعوبة الطرق المؤدية إليها

(١) انظر بعض كتب التراجم، وخاصة كتاب الأنساب للسمعاني

(٢) عمر رضا كحالة: جغرافية شبه جزيرة العرب ص ٢٨١

بالإضافة إلى عدم اعتراف رجال زهران بتلك التبعية، وفي تلك الفترة طغى الجهل في بلاد زهران، وسيطرت عليها العصبية القبلية، وضعفت العاطفة الدينية، وسادت الحروب القبلية المدمرة، فعاش الأفراد والجماعات، في قلق دائم، وخوف متزايد ترتب عليه انعدام الأمن، وافتقار الطمأنينة، وانخفاض مستوى المعيشة، مما جعل السكان في جميع القرى يلجأون إلى بناء قراهم في أعالي الجبال، ويقيمون فيها الحصون الحربية التي نشاهدنا اليوم منتشرة في جميع أنحاء بلاد زهران سراة وتهامة لحماية أنفسهم من خطر الغارات الفتاكة التي يشنها رجال القبائل الأخرى.

وقد استمرت الحالة كذلك حتى قامت المملكة العربية السعودية، فساد الأمن وعم الرخاء وقضي على البدع والخرافات الدينية.

أعمال زهران الحربية في عهد آل سعود الكرام:

تعرضت جزيرة العرب في بداية القرن الثالث عشر الهجري لحملات الأتراك التي قام بها محمد علي باشا والي مصر من قبل الدولة العثمانية، يساعده ولداه طوسون وإبراهيم باشا. وكان الهدف من تلك الحملات هو إظهار مصر بمظهر الحامي لمقدسات المسلمين في مكة والمدينة لتكسب الرأي العام الإسلامي إلى جانبها، بالإضافة إلى رغبة محمد علي باشا في القضاء على الجنود الألبان الذين كانوا عامل شغب في مصر، وفتح أسواق جديدة لمصر في الحجاز.

وقد قاومت الدولة السعودية الأولى تلك الحملات، وكبدت الأتراك خسائر فادحة في الرجال والأموال، إلا أنهم زحفوا إلى مكة واستولوا عليها بعد استيلائهم على جدة والمدينة، ثم واصلوا زحفهم - أي الأتراك - إلى الطائف وبلاد زهران وغامد وعسير، فكان نصيبهم الفشل الذريع، وكان يقود جيش زهران في تلك الاثناء بخروش بن عباس الزهراني من قرية العدية بقبيلة قريش، وقد أظهر في حروبه ضد الأتراك شجاعة نادرة وإخلاصاً صادقاً لآل سعود الكرام، وكان بالتالي حجر عثرة أمام توسع الأتراك في منطقة عسير سراة وتهامة.

وفي سنة ١٢٢٨ هـ اشتبكت قبائل زهران وغامد مع جيوش الأتراك في القنفذة فهزم الأتراك شر هزيمة، ثم تجددت هزائمهم في زهران وغامد، فطلبوا النجدة من محمد علي باشا، فأمدهم بقوات كبيرة يقودها ولده طوسون، ومع ذلك فقد توالى هزائمهم وعادوا يحرقون ذبول الخيبة والفشل براً إلى الطائف وبحراً إلى جدة، وغنم رجال زهران وغامد ما

كان معهم من المؤونة والذخيرة.

ومن أهم تلك المعارك الحاسمة المعركة الكبرى التي وقعت في وادي قريش ببلاد زهران، حيث هاجم بخروش بن عباس بجيش زهران المتواضع في عدده وعدته جيش الأتراك الذي يقدر بحوالي عشرين ألف مقاتل، فهزموه شر هزيمة، وقدر عدد القتلى من الأتراك بألف رجل^(١)، فانسحب الأتراك إلى الطائف خاسرين. وقد أثبت بخروش في تلك المعركة الحاسمة مدى ما يتمتع به من بطولة حققة وحنكة حربية بارعة.

التقى بعد ذلك جيش آل سعود بقيادة الإمام عبدالله بن سعود بجيش الأتراك بقيادة محمد علي باشا في معركة «بسل» بالقرب من الطائف، وكانت نتيجة تلك المعركة في صالح الأتراك لتفوقهم على الجيش السعودي في العدد والعدة. وقد شدد الأتراك الضغط على جناحي الجيش السعودي اللذين تكونا من غامد وزهران. واعتقد أن ضغط الأتراك المباشر على زهران وغامد، يرجع سببه إلى حنق محمد علي باشا وعزمه على الانتقام من رجال زهران وغامد الذين أذاقوا جيوشه مراراً عديدة طعم الهزيمة المرة ومزقوهم شر ممزق.

وبعد معركة «بسل» استولى محمد علي باشا على تربة وبيشة وما جاورهما ثم زحف إلى عسير، فقبض على طامي بن شعيب وبخروش بن عباس. ويحكى لنا أحمد علي^(٢) نقلاً عن كتاب «حكام مكة» للكولونيل ديجوري وصفا لنهاية حياة القائد الزهراني بخروش بن عباس على يد محمد علي باشا فيقول:

«كان بخروش عبوساً ساكناً، وفي ليلة من الليالي وجد بخروش حراسه نياماً فحل وثاقه وهرب، وعندما درى الحراس بهروبه تعقبوه ولما اقتربوا منه قتل بعضهم وجرح كثير من منهم، وأخيراً وقع في أسرهم، وجيء به إلى محمد علي باشا، وسأله لماذا هربت وقتلت الجنود؟ فقال له: ما دمت حراً مطلقاً أعمل كما أشاء. فرد عليه الباشا: سأعاملك بنفس المعاملة. وأمر برد الأغلال عليه، وإيقافه وسط الجنود ثم أمر الجنود المحيطين به أن يطعنه كل واحد منهم طعنة غير قاتلة برأس خنجره إطالة في تعذيبه. وتلقى الزعيم تلك الطعنات بصمت وشجاعة ولم ينبس بكلمة تشعر بأنه نادم على ما وقع منه، أو يستعطف الباشا وأخيراً قطع أحد الجنود رأسه، وأرسله إلى استانبول مع طامي بن شعيب الذي أعدم هناك»^(٣).

(١) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية ج١ - ص ١٤٧

(٢) آل سعود - ص ٦٤ و ٦٥

(٣) يقول أحد أحفاد بخروش إن جثته دفنت في وادي الأحبية بتهامة زهران

ولم تقف سخرية الأتراك عند هذا الحد، بل تعدت إلى أنهم عند وصولهم إلى مصر في طريقهم إلى استانبول، علقوا رأس بخروش بين كتفي زميله طامي، وطافوا به في شوارع القاهرة، وهكذا انتهت حياة ذلك البطل ولكن ذكره ما زال ملء الأسماع وخاصة في بلاد زهران مسقط رأسه ومجال شجاعته.

وبعد عودة محمد على إلى مصر، هاجم رجال زهران وغامد وألح جنوده المقيمين في تهامة والسرارة، ودحروهم عدة دحرات، فانهزموا خاسرين إلى الطائف وجدة (١).

وفي الثلاثينات من القرن الهجري الحالي، استبدت أسرة آل عايض بشؤون الحكم في بلاد عسير، وكان الأمير حسن بن عائض مستبداً ظالماً، فنفرت منه القبائل - خصوصاً قحطان وزهران (٢) - وأرسلت وفودها إلى مدينة الرياض، وشكوا إلى المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (غفر الله له) ما يعانیه الأهالي في عسير من ظلم واستبداد آل عائض. فأرسل الملك عبدالعزيز إلى حسن بن عائض ستة من علماء نجد ينصحونه، ويدعونه إلى التزام جادة الحق والصواب. ولكنه كابر ولم يستمع لنصحهم، واستمر في سياسة الظلم والعدوان.

فبعث إليه الملك عبدالعزيز جيشاً يقوده الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي فتمكن من القبض على حسن بن عائض وابن عمه محمد، وأرسلهما بالتالي إلى الملك عبدالعزيز بالرياض، فأكرمهما أحسن إكرام واتفق معهما على أن يعودا إلى عسير ويلتزما الهدوء والسمع والطاعة. فعادا إلى بلادهما راضيين مغتبطين. ولكن حسن بن عائض عاد من جديد إلى إثارة الشغب والفوضى، فجهز الملك عبدالعزيز رحمه الله حملة كبيرة ووجهها إلى عسير بقيادة ابنه الأمير فيصل بن عبدالعزيز. وعند وصول الحملة إلى بلاد زهران انضم إليهما أربعة آلاف مقاتل من زهران (٣) واستمرت الحملة في زحفها إلى عسير، حيث تمكن الأمير فيصل من القضاء على آل عائض نهائياً، وأراح الناس من ظلمهم وتعسفهم، وفي وقتنا الحاضر تنعم بلاد زهران بفضل الله ثم بفضل الحكم الرشيد والقيادة الحكيمة في ظل خادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز بالرخاء والأمن والاستقرار. وهاهم شباب زهران يعملون في جميع أجهزة مملكتنا الفتية، وفي مقدمتها الأجهزة العسكرية، يدفعهم إلى ذلك إيمان بالواجب، وتقدير للمسؤولية وإخلاص كبير في خدمة الدين والوطن والمليك.

(١) أمين الريحاني: نجد وملحقاته وسيرة الملك عبدالعزيز - ص ٨٣

(٢) المصدر السابق - ص ٣٠٠

(٣) المصدر السابق - ص ٣٠٢

تتبع بلاد زهران إدارياً لمنطقة الباحة، ومنطقة الباحة منطقة إدارية تضم قبيلتي غامد وزهران، وكانت هذه المنطقة قبل عام ١٣٥٣ هـ تابعة لإمارتي الطائف وبيشة ثم فصلت عنها، وأصبحت إمارة قائمة بذاتها، واتخذت من مدينة الباحة الواقعة في قلب المنطقة قاعدة إدارية لبلاد غامد وزهران، وللإمارة فروع في مختلف أنحاء بلاد زهران سراة وتهامة موزعة على النحو التالي:

أ - في السراة:

- ١ - إمارة المندق
- ٢ - إمارة القرى
- ٣ - إمارة بيدة
- ٤ - إمارة دوس
- ٥ - إمارة برحرح
- ٦ - إمارة بيضان
- ٧ - إمارة بني حسن
- ٨ - إمارة بني عدوان

ب - في تهامة:

- ١ - إمارة قلوة
- ٢ - إمارة الحجره
- ٣ - إمارة ناوان
- ٤ - المخواه
- ٥ - إمارة نيرا

هذا بالإضافة إلى عدد من المحاكم الشرعية ومراكز الشرطة والأحوال المدنية ومكاتب التعليم، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويوجد بزهران مكتب زراعي وبلدية وإدارة للأوقاف وثلاث وحدات للدفاع المدني وثلاثة مكاتب للضمان الاجتماعي وعدد من إدارات البريد والاسلكي، وفرق للطرق، فضلاً عن المستوصفات والمكاتب الصحية.

سنلقي في هذا الفصل شيئاً من الضوء على النواحي الاجتماعية التالية، لتتعرف من خلالها على سير الحياة الاجتماعية في بلاد زهران :

١ - المجتمع في بلاد زهران .

٢ - الأسرة .

٣ - الزواج .

٤ - أهم العادات .

١ - المجتمع في بلاد زهران :

مجتمع بلاد زهران مجتمع قبلي بسيط، محافظ على عاداته وتقاليده العربية الأصيلة، والقبيلة هي الوحدة التي يقوم عليها النظام الاجتماعي في هذه البلاد، وهي عبارة عن أسرة كبيرة، يعتقد أفرادها أنهم يتحدرون جميعاً من أب واحد وأم واحدة، ولذلك فالقبيلة عادة تسمى باسم الأب الأكبر لها .

وبما أن القبيلة في حاجة ماسة إلى رئيس يشرف على أمورها، وينظم أحوالها، فقد استوجب الأمر اختيار رئيس لها من أبنائها، يسمى بلهجة زهران «شيخ القبيلة». ويتم اختياره إذا تأكد رجال القبيلة من سمو أخلاقه، وحصافة رأيه، بغض النظر عن ثروته وكبر سنه. . . . وشيخ القبيلة هو المسؤول الأول فيها، والناطق باسمها، والمطالب بحقوقها لدى الجهات المختصة. ولا يجوز لأفراد قبيلته البت في أي موضوع يتعلق بالقبيلة إلا بعد عرضه عليه وأخذ موافقته .

ولكي توزع المسؤولية، وتنظم أعمال القبيلة تنظيمًا لائقًا يعود على أفرادها بالخير والفائدة، فقد أختير لكل قرية نائب من قبل شيخ القبيلة يطلق عليه اسم : «عريف القرية» وعن طريق هذا النائب يتم الاتصال بشيخ القبيلة لنقل رغبات ومطالب أهل القرية إليه ليعمل بدوره على تحقيق ما يمكن تحقيقه منها .

والى وقت قريب جداً كان لكل قبيلة من قبائل زهران شاعرها الذي يشيد بمفاخرها

وأبجادهما، ويهجو أعداءها ويندد بهم، ثم أخذت هذه الظاهرة في التلاشي تدريجياً حتى انعدمت تماماً في الوقت الحاضر.

وقد تحدثت قبائل زهران كما ذكرنا سابقاً من أبناء زهران بن كعب بن الحارث السنة وهم: عبدالله ونصر والنمر ومالك وعبرة وصقل ومن نسلهم تكونت قبائل زهران وكان يطلق على بني عبرة وصقل بنو خنيس^(١) نسبة إلى رجل تولى حضانتهم، وقام بالإشراف على أمورهم.

ومما يجدر ذكره أن هناك اختلافاً كبيراً بين قبائل زهران في الماضي والحاضر، وذلك من حيث التوزيع الجغرافي والأسماء، فقبائل زهران حالياً تقطن في أواسط جبال الحجاز وتهامة، بينما انتشرت في الماضي في الحجاز وتهامة وعمان والبصرة والأندلس ومن أهم بطون زهران في الجاهلية والإسلام: دعة وسليمة، وبنو شاهر بن زرعة وبنو هارون بن زرعة^(٢) ومعن وهناة والجنابذ وشبابة والنمر بن عثمان واليحمد وبنو الحدان وبنو معولة وبنو عامر وبنو هلال وبنو عبدالله وبنو الخصاصة، وبنو فاحش وبنو ربيعة وبنو برسان والأوس بن شمس ومحضب بن شمس وبنو سلامان. ومنهم كان الشاعر الشنفرى الفاتك ثابت بن أوس العداء المشهور في الجاهلية^(٣) وكان يغير عليهم لأن رجلاً منهم قتل أباه، ولم يساعده على أخذ ثأره فلحق بأخواله، وأقسم ليقتل من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين ثم أمسكوا به وقتلوه، فمر رجل منهم بجمجمته فضر بها برجله تشفياً منه فدخلت فيها شظية من الجمجمة فماتت فتمت المائة وقد قال عند لحاقه بأخواله:

جزينا سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت أيديهم وأزلت
وهنىء بي قوم وما أن هنأهم وأصبحت في قوم وليسوا بمنبتي

وقد تبوأ الشنفرى مكانة مرموقة في الشعر، وله (لامية العرب) التي وجد فيها المؤرخون والأدباء صورة حقة للحياة العربية الأصلية التي يرى فيها العربي يطوي الصحراء متشحاً عباءته ضامر البطن يبحث عن العزة والكرامة.

وفيما يلي نستعرض أسماء قبائل زهران ومشائخها في الوقت الحاضر وأهم قراها في السراة وتهامة:

(١) ابن حزم الأندلسي - نفس المرجع - ص ٣٧٩

(٢) سكن بنو شاهر بن زرعة وبنو هارون بن زرعة تدمير بالأندلس

(٣) ابن حزم الأندلسي - نفس المرجع - ص ٣٨٦



قرية المدي في دوس بيلاد زهران

عدد	اسم القبيلة	أهم القرى
١ -	دوس بني فهم	آل نعمة - بنوفهم - سيحان بنوزيد - حظوه - الجبور - عسيلة - الكاحدين - الكاحلة - الهرة - العراق - قزعة - غياض الصماء . رمس - الحبشة - الریحان . ولهذه القبيلة قرى في تهامة هي :
٢ -	دوس بني علي	الجرداء - القزعة - الفرعة - قرية سوق السبت - السند - الكف - السعيرة - المربى - الحنكة - سند الميلح - الجناب .
٣ -	دوس بني منهب (آل عياش)	غدى - الحصنين - قرعة - الزرقان - قرية أبي شوك - العقب - الكلبات - معبود .
٤ -	دوس بني منهب وبالطفيل	عمضان - بدادا - الوكف - القرن - قريدة القامة - عويرة - بعرة - الهدى - الغرير - سلامان - الكورس - الردمة . أما قراها في تهامة فهي :
٥ -	بنو كنانة	فضالة العليا - فضالة السفلى - عياس آل حمادة . مسير - المنديق - العنق - النصباء - الحلاه - بلحکم - دار المسيد - مشنية - القرنطة - الحبارى - آل مزاح .
٦ -	بيضان	قرى وادي ثمران بتهامة . قرى البارک - الدارين - بنو هريرة - قراء - الحلاه - المصاعبة - الحناديد - المصاكير . وفي تهامة : الصور - الصقران - العرباء - الوسطة - العرضى - قرى حصن الحبس - العين - قرى الأصدار .

عدد	اسم القبيلة	اهم القرى
٧-	قريش	الأطاولنة - بنو محمد - القهاد - العدية - الحسن - القسمة - منضحة - التويمات - منحل - الثراوين - القعصة - الهدوان - آل دكان - الرهوتين .
٨-	بنو جندب	الحكماء - آل طاهر - المكاتيم - العقلة - آل سرور - المظلمات - آل صقاعة
٩-	بنو بشير	الاشناء - الوهدة - القامرة - آل سلمان - الجدلان - العقاربة - أهل الرأس - الحضيرى - آل دغمان - أهل الزربة .
١٠-	بنو عدوان وبنو حريس	سبيحة العليا - سبيحة السفلى - الكرادسة - الضحوات - الكلبة - الجريرة - الشعبة - المثيلة - الحبشة - الدعبة - المشارق - الريعة - محوية - آل سعيدان - الصعدان - القعرة - آل حميدان .
١١-	بلخزمر (بنو الخزمر)	القبل - الصفح - المحاميد - الرخيلة - الفضيلة - مولغ - السرفة - عنازة - الجماجم - رسبا - حديد - أريمة - الطرف - الكعامير .
١٢-	بنو عامر	بنو سار - الرومى - المصرخ - حميم - بروقة - الربيان .
١٣-	بنو حسن	الصغيرة - قرن ظبى - خيرة - الجوفاء - رباع - العصداة - العفوص - نعاش - المشايعة - وادي الصدر - مراوة - شبرقة - القحف - آل موسى - القرن - مليكة - الأثمة .

بنوعدهان

دوس بنوفهم

دوس بنوعلى

بنوحرير

دوس بنومنيب

(الكعياش)

دوس بنومنيب وبوالطفيل

قريش

بنوجندب

بنو بشير

بنو كنانة

بلخزمر

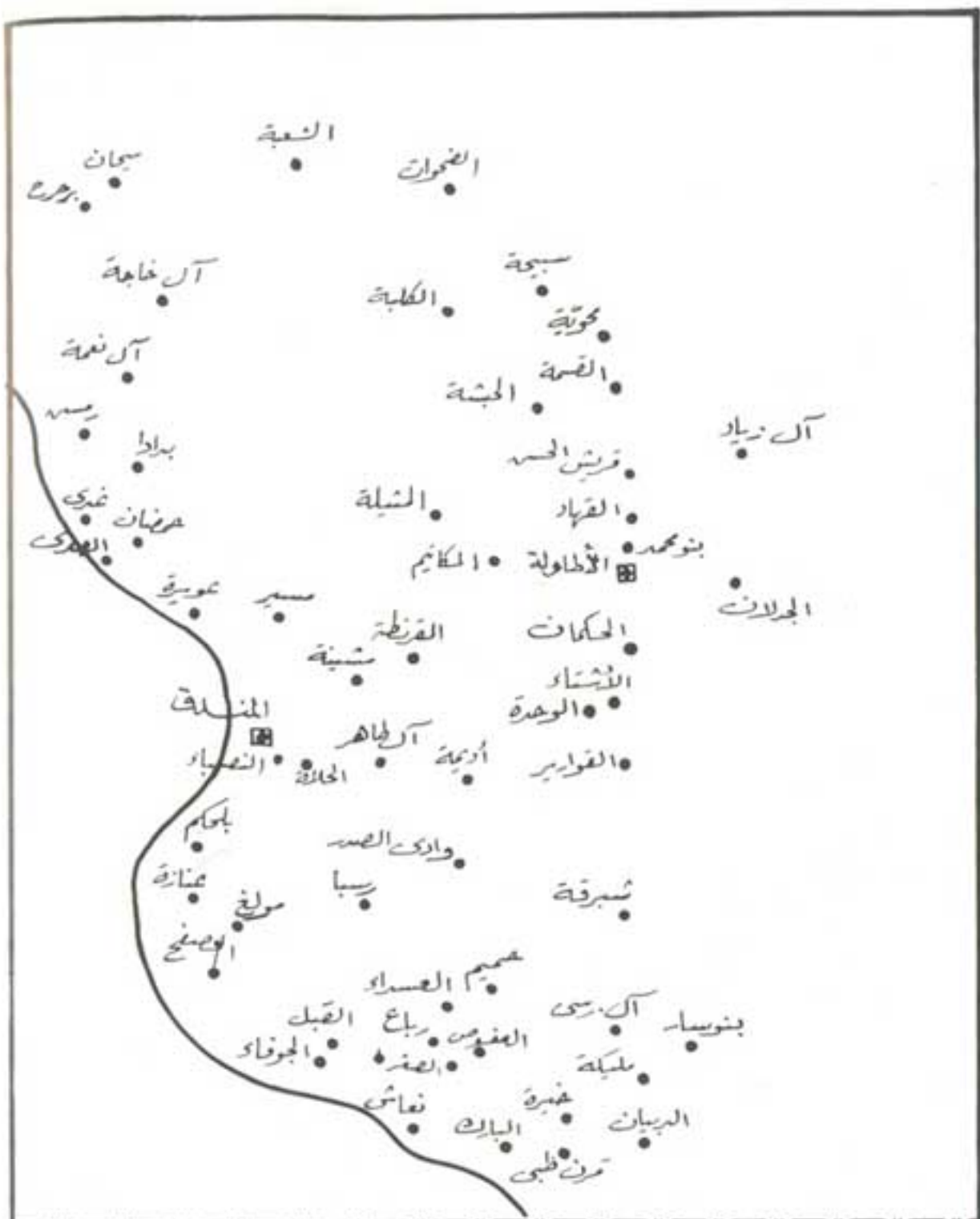
بنو حسن

بنوعامر

بيضان

توزيع قبائل زهران في مرتفعات السّراة

(مقياس الرسم ١ : ٢٥٠,٠٠٠)



أهم قرى زهران في السّراه

(مقياس الرسم ١ : ٥٠,٠٠٠)

عدد	اسم القبيلة	أهم القرى
١ -	قبيلة بني سليم الشغبان	آل مقبل - آل يسلم - آل سهلة - بنوعطا - المضحاه .
٢ -	قبيلة بني سليم أولاد سعدى	قرى وادي غليظة - قرى وادي الحبيبة قرى وادي رما - قرى آل بعاج - قرى وادي الزرعة - قرى وادي الخرايت - قرى العصمة - ذناب - قرى وادي لقط .
٣ -	قبيلة بني سليم بالمفضل (بني المفضل)	قرى وادي ريم - قرى وادي الشعراء قرى وادي سمعة - قرى وادي بير الغميقة .
٤ -	قبيلة بني سليم الجبر	النجيل - وادي دو - الخليف - المضحاة آل سويدي - آل بالريان .
٥ -	قبائل الأحلاف (ثلاثة مشايخ)	الغبشة - المضحاة - الطولة - وادي بحر النوزة - بالأسود - آل ظهيرة - آل فلاح - بنوزرعة - قلوه - حبس بن زينة - الحوية - بنوزهير - آل سلطنة - البدلة - كيدى - العجرة - المرصاد - الرهفة - الذويب - الفرع - جبل أحمار - جبل الرهوة .
٦ -	قبيلة بني عمر الأشاعيب	الجوه - العياش - ذو عين - بنو عاصم قرى وادي منى - قرى وادي منجل - قرى وادي سقامة - قرى وادي راش - قرى وادي بني دحيم - قرى وادي الجنش وحواز .
٧ -	قبيلة بني عمر العلى	المخوة - المشايعة - العياش - منيان - القزة - قرى وادي الأحسبة .
٨ -	قبيلة ناوان	قرى وادي ناوان .
٩ -	قبيلة المشايخ	مشرف - الفرع - آل ثواب - الوحشة - الفرع - النقار - الصقعة .

الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع ، والنظام الأسرى في بلاد زهران أوسع بكثير منه في غيرها ، فالأسرة عادة تتكون من الأب والأم والأبناء ذكوراً وإناثاً ، وإذا تزوج أحد أبناء الأسرة فإنه ينفصل عنها ليكون بدوره أسرة جديدة وهكذا بالنسبة لبقية الأبناء .

أما في بلاد زهران فلا يحصل شيء من هذا القبيل ، بل يبقى الابن بعد زواجه ضمن أسرته ، ولا ينفصل عنها إلا نادراً جداً ، وفي ظروف قاسية يقتنع بها الأب فيسمح لابنه بالانفصال . وينتج عن هذا - بالطبع - اتساع نطاق الأسرة وتزايد أفرادها بصفة مستمرة ، وقد يصل عدد أفراد بعض الأسر في بلاد زهران إلى أكثر من ثلاثين شخصاً .

ومن الجدير بالذكر أن هذه العادة متأصلة في نفوس السكان ، يحرسون على بقائها ، ويعتبرون كل من يخالفها شاذاً ومارقاً عن عادات وتقاليد مجتمعه . واعتقد جازماً أن سبب تمسك السكان بهذه العادة يرجع إلى ما يأتي :

١ - طبيعة المجتمع الزراعي الذي يعيش فيه سكان بلاد زهران ، والذي يستدعي تضافر جهود جميع أفراد الأسرة وخاصة الشباب لتمكن الأسرة من توفير ما يحتاج إليه أفرادها من الغذاء والكساء ، وما يجري مجراهما من ضروريات الحياة المعيشية .

٢ - انخفاض المستوى المادي في بلاد زهران ، وقلة دخل الأسر مما يحتم على أفرادها التمسك والحرص الشديد على بقاء هذه العادة ، لاعتقادهم أن الأسرة إذا تجزأت إلى مجموعة أسر ، فإن كل أسرة منها تحتاج إلى دخل خاص يمكنها من مواجهة الحياة . وتوفير دخل خاص لكل فرد ينفصل عن أسرته كان في منتهى الصعوبة في الأعوام الماضية لإنخفاض مستوى المعيشة وسيتم التخلص من هذه العادة في وقت قريب إن شاء الله لانتشار التعليم وارتفاع مستوى المعيشة في زهران ، بفضل الله ثم بفضل عناية واهتمام حكومتنا الرشيدة ، وعلى رأسها صاحب الجلالة الملك فهد حفظه الله وأطال أيامه .

وتقوم المرأة بدور كبير في مجتمع بلاد زهران ، فبالإضافة إلى قيامها بجميع أعمال المنزل فهي تعمل جنباً إلى جنب مع زوجها في أعمال الزراعة كالحرثة والرى والحصاد ودرس الحبوب في البيادر . وباختصار فالمرأة دعامة من دعامات هذا المجتمع لا يقوم بدونها .

٣ - الزواج:

الزواج هو الصلة التي تربط بين الرجل والمرأة بشكل يرضى عنه الله ثم المجتمع وهو أمر لا بد منه للحفاظ على بقاء الجنس البشري على ظهر البسيطة . وقد حرصت المجتمعات البشرية الزراعية على الزواج المبكر لتزيد في عدد أفرادها ضماناً لنجاح العملية الزراعية . بالإضافة إلى كونه يحفظ أبنائها من الإنحراف . وهذا ما يجري بالضبط في بلاد زهران التي تسود فيها حرفة الزراعة ، فبمجرد أن يبلغ الابن سن الخامسة عشرة يبادر والده إلى تزويجه دون أن يهتم برغبة ابنه في الزواج من عدمها ، فيبقى الابن وزوجته وأبناؤه عائلة على والده . ولكي يكون الحديث عن الزواج كاملاً ، يجب علينا أن نناقش ظواهره الثلاث التالية :

أ - الخطبة أو المصاهرة كما يطلق عليها سكان بلاد زهران .

ب - المهور .

ج - ولائم الزفاف .

١ - الخطبة:

إذا بلغ الشاب سن الخامسة عشرة تبدأ أسرته تفكر بجدية تامة في اختيار زوجة صالحة له ، ويفضل مجتمع بلاد زهران أن تكون الزوجة من الأقارب وخصوصاً من بنات الأعمام والأخوال ، فإذا تعسر ذلك ، نظر والد الشاب إلى بقية الأسر في قبيلته حتى إذا وقع اختياره على فتاة معينة ، ذهب إلى ولي أمرها مصطحباً معه بعض رجال قبيلته ، ثم يطلب منه حسبه ونسبه ، فإذا تمت الموافقة تحدد المهر وموعد الزفاف .

ومن الغريب هنا أن كثيراً من الشباب في بلاد زهران يخطفون ويتم زواجهم ، وهم لا يعرفون زوجاتهم إلا في ليلة الزفاف بعد أن تدخل منزله . هذا إذا كانت الزوجة من أسرة لا تمت إلى الزوج برابطة من القرابة ، أما إذا كانت الزوجة من أسرة قريبة ، فإنها تحتجب نهائياً عن نظر خطيبها بمجرد أن تعلم بخطوبتها له وهذا يرجع بالطبع إلى عادات المجتمع وتقاليده ، ومجتمع بلاد زهران - كما أسلفنا - مجتمع محافظ يتمسك بعاداته وتقاليده الأصيلة ، وخاصة ما يتعلق منها بالعرض .

ب - المهور:

لم يكن المهر في بلاد زهران قبل خمسة عشر عاماً يتجاوز ألف وخمسمائة ريال لإنخفاض مستوى المعيشة آنذاك . أما الآن وبعد أن تطورت الحياة ، وتحسنت أحوال الناس المادية ،

فقد ارتفع المهر كثيراً، وأصبح لا ينقص عن عشرين ألف ريال، وقد يصل في بعض الأحيان إلى أكثر من خمسين ألف ريال، فقل إقبال الشباب على الزواج نتيجة لذلك، وخصوصاً الشباب من ذوي الدخل الثابت المحدود وبالتالي أخذت المادة تتحكم في بعض الآباء مما يجعلهم يزوجون بناتهم لمن يدفع لهم أكبر مبلغ من المال.

وقد أدرك عقلاء القبائل خطورة هذه المشكلة الاجتماعية واستفحالتها، فاتفقوا على تحديد مهر ثابت للزواج يجازى من يدفع زيادة عليه، ومن يطلب أكثر منه عن طريق مقاطعته مقاطعة دائمة تتمثل في عدم دخول بيته، وعدم السماح له بدخول بيوت رجال قريته، وعدم تزويجه والزواج منه، وعدم مشاركته في أفراحه وأتراحه. ولكي يتأكدوا - أي رجال القرية - من التزام الزوج ووالد الزوجة بذلك الاتفاق، فقد تقرر عليهما أداء اليمين ليلة الزفاف. وقد استمر هذا الحل الحاسم سنوات قلائل، ثم أخذ في التلاشي تدريجياً حتى انتهى في معظم القبائل نهائياً.

وجاء المرسوم الملكي الكريم المتضمن تحديد المهور، والضرب بيد من حديد على من تسول له نفسه مخالفة نصه، فكان له أثر إيجابي كبير في بلاد زهران.

ج - ولائم الزفاف:

تبدأ أسرة المتزوج في الاستعداد لليلة الزفاف قبل أسبوع من موعدها، وتأخذ في تجهيز مستلزماتها من ذبائح ودقيق وأرز وبن وهيل وشاي وملابس وما يجري مجراها. وفي يوم الزفاف يتجمع رجال القرية وشبابها لمساعدة الأسرة في إعداد الولائم. وبعد صلاة الظهر مباشرة تصل العروس وذووها إلى بيت العريس، فتبدأ حينذاك حفلة الزفاف وتستمر يومين كاملين تظهر فيهما أسرة الزوج أقصى ما تستطيع من دلائل النبل والكرم، ويحى الشباب ليلتي الزفاف بتقديم الرقصات الشعبية «العرضة» وينظم الشعراء القصائد العديدة في مدح أسرتي الزوج والزوجة، والإشادة بما تبذله الحكومة السنية من مجهودات لتطوير منطقتهم وفي صباح اليوم الثاني يقدم والد الزوج الكساوي لأسرة الزوجة، فيعطي كل رجل مشلحاً صوفياً ثميناً، ويعطي كل امرأة مصنفاً صنع من القماش الثمين. وتتكون ولائم الزفاف عادة من اللحم والخبز والمرق والأرز. ويبلغ الخبز من الضخامة حداً كبيراً لدرجة أن الرجل القوي لا يستطيع حمل أحدها بمفرده.

ويقدم سكان القرية لأسرة الزوج مساعدات كثيرة في الزفاف منها إعداد الخبز وخدمة الضيوف أثناء إقامتهم ، بالإضافة إلى تقديم وجبة كاملة لهم أي للضيوف - وغالباً ما تكون وجبة الغداء في اليوم الثاني .

وبالرغم من أن هذه الولائم تكلف مبالغ طائلة قد تتساوى أحياناً مع المهر إلا أن الأهالي يحرصون على إقامتها أشد الحرص ، ويتنافسون في إظهارها بالمظهر المشرف لهم بغض النظر عن مراعاة حالتهم المادية . وكثيراً ما يستدين صاحب الزواج في سبيل إقامة تلك الولائم ، مما يحتم عليه البقاء مدة طويلة بعد زفافه يسدد ذلك الدين الذي أثقل به كاهله حباً في الظهور أمام الناس بمظهر البذخ والرفاه والوجاهة الزائفة التي يدفع ثمنها هما في الليل ، وذلاً في النهار .

٤ - أهم العادات في بلاد زهران :

مجتمع بلاد زهران كبقية المجتمعات البشرية الأخرى ، له عاداته التي اكتسبها مع مرور الأيام بالتعلم والتكرار ، فأصبح يؤديها بطريقة آلية لا تحتاج إلى مجهود شاق في التفكير . وهي بطبيعة الحال عادات انبثقت من واقع البيئة التي يعيش فيها ، وانسجمت مع نظمها وتقاليدها الاجتماعية والسلوكية وستعرض هنا لأهم العادات السائدة في المنطقة .

١ - الشجاعة :

وهي الجود بالنفس أقصى غاية الجود ، وبذلها رخيصة في سبيل المجد والكرامة والدفاع عن النفس والوطن . والشجاعة صفة خلقية ، وعادة سامية . تأصلت في نفوس العرب جميعاً بما فيهم قبائل زهران . وإذا أردنا أن نستشهد على شجاعة قبائل زهران ، فيجب علينا الرجوع إلى كتب التاريخ الإسلامي ، وكتب تاريخ المملكة العربية السعودية ، لنرى كيف أثبت رجال زهران شجاعتهم في مواقف لا حصر لها ، وخصوصاً في بداية القرن الثالث عشر الهجري ، حين أنزلت جيوش زهران القليلة العدد والعدة الهزائم الساحقة بجيوش الأتراك وخاصة في موقعة حصن بخروش بوادي قريش ، حيث أنزل بخروش الهزيمة بجيوش الأتراك التي بلغت عشرين ألف مقاتل بجيشه الصغير الذي لا يقاس بتلك الجيوش الجرارة . كما أن عمل معظم شباب زهران - في وقتنا الحاضر - في أجهزة المملكة العربية السعودية العسكرية وخاصة القوات المسلحة لأكثر دليل على تأصل الشجاعة في نفوسهم .

ليس الكرم غريبا على العرب، فكتب الأدب العربي مليئة بقصص الكرم والكرماء، وقد تصل بعض تلك القصص إلى مرتبة الخيال، ومع ذلك فهي صحيحة ولا يمكن أن يتطرق إليها الشك بأي حال من الأحوال.

ويتجلى كرم رجال زهران في مناسبات عديدة أهمها وفادة الضيوف حيث يستقبل الرجل ضيفه بالترحيب والتسهيل والابتسامات العذبة - الدالة على مدى ابتهاجه بمقدمه، والتي تبعث الاطمئنان والراحة النفسية في نفس الضيف فيشعر أنه بين أهله وذويه - ثم يقدم له كل ما وسعه تقديمه من مظاهر الحفاوة والإكرام.

والضيوف في بلاد زهران على مراتب، ولكل منهم مقداره، فبعضهم يقدم له من موجودات المنزل من لحم وسمن وعسل ولبن وفاكهة، والبعض الآخر تجهز له وليمة كبيرة قوامها خروف أو خروفان أو أكثر.

وقد يستدين الرجل لكي يؤدي واجبات الضيافة على الوجه الأكمل. ومن هذه الواجبات دعوة رجال القرية لمشاركة الضيف في تناول الطعام ولترفيه عنه في آن واحد. كما أن في دعوتهم إظهار لمنزلة الضيف في نفس المضيف. ومع أن هذه الدعوة تكلف صاحب المنزل كثيراً، إلا أنه لا يمكن أن يهملها وإلا أتهم بالبخل، والبخل أقبح صفة يمكن أن يوصف بها الرجل في بلاد زهران.

وفي بعض الأحيان يفد الضيوف على رجال القرية بكاملهم، فتقدم لهم الولائم بالترتيب، كل وجبة في بيت من بيوتها، وهكذا حتى يغادر الضيوف القرية.

٣ - الأزياء والملابس:

وهي نفس الأزياء والملابس العربية المعروفة في جميع مناطق المملكة العربية السعودية، فالرجل يرتدي في فصل الصيف الثوب الأبيض والغترة والعقال، ويرتدي في فصل الشتاء الثوب الصوفي والشماغ الأحمر والعقال والكوت أو العباءة الصوفية.

أما المرأة فترتدي الثوب العربي الفضفاض والخمار الأسود، وتلتحف بقطعة قماش زيادة في الاحتشام. وعند خروجها من بيتها ترتدي عباءة صوفية الأكمام. هذا بالنسبة للقرى الصغيرة. أما القرى الكبيرة فترتدي العباءة العربية السوداء.

٤ - وجبات الطعام:

تتكون وجبات الطعام - عادة - في بلاد زهران من البر والسمن والعسل واللبن والبيض والأرز والخضروات والفاكهة، بالإضافة إلى القهوة العربية والشاي ومشروب ثالث يسمى «القشر» ولا شك أن في هذه الأنواع من الطعام تتوفر معظم الفيتامينات الغذائية إن لم تكن جميعها، ومنها تصنع أكلات شعبية لذيذة مغذية منها:

أ - الفتة:

وتصنع من فتات خبز البر والسمن والعسل أو السكر، ويتناولها الأهالي في أيام الشتاء الباردة. وتشبه إلى حد كبير الأكلة الشعبية المعروفة في مدن المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية باسم «المعصوب»، كما تشبه أكلة الحنيني المعروفة في نجد.

ب - الملبنه:

وهي عريكة تصنع من الدقيق المعجون باللبن، وتسقى بالسمن البري، وتتناول في الغالب في وجبة الإفطار.

أما الولائم الكبيرة التي تقدم في المناسبات، فتتكون غالباً من الخبز والحساء «المرق» واللحوم، أو من أرز السليق. ويبلغ الخبز من الضخامة قدراً كبيراً إذ تصنع الواحدة منه من اثني عشر مداً أو أكثر من دقيق البر. وتقدم الولائم المكونة من الخبز والحساء واللحوم على فترتين متتاليتين كالتالي:

* الفترة الأولى:

وفيها تفرش الموائد «السفر» ويحضر الخبز، ثم يقطع إلى قطع صغيرة مختلفة الأشكال، (وتصف) الواحدة منها بجانب الأخرى في أطراف المائدة، ثم توضع أواني الحساء في الوسط. وبعد الترحيب والتسهيل يتقدم الضيوف لتناول الطعام.

* الفترة الثانية:

وتبدأ عند انتهاء الضيوف من تناول الخبز والحساء، حيث ترفع الموائد السابقة، وتفرش موائد غيرها، ثم يحضر الداعي الذبائح كاملة، كل ذبيحة في صحن خاص بها. وبعد تقطيعها إلى قطع صغيرة توزع في الصحون، ويقدم كل صحن إلى مجموعة من الضيوف لا تتجاوز العشرة، بينما يوزع الفائض على الفقراء والجيران. أما الأرز فيقدم على الطريقة المتعارف عليها في بقية مناطق المملكة.

٥ - المشاعل :

عادة قديمة جداً في بلاد زهران ، وتقام في ليلة عيد الفطر السعيد ، وهي عبارة عن أعواد من الحطب تشعل بالنار ، وتوضع في أعالي الجبال لإشعار سكان القرى المجاورة بانتهاء شهر الصوم المبارك ، وحلول العيد السعيد . وعند رؤيتهم لها يدركون على الفور مغزاها ، فيقومون بدورهم بوضع مشاعلهم في أماكن مرتفعة من قراهم . وهكذا دواليك حتى يعم النبا جميع سكان زهران .

وتقوم المشاعل - كما رأينا - بدور المدفع في المدينة أو وسيلة الاعلام كالراديو مثلاً . وترجع هذه العادة إلى الزمن الماضي الذي لم يعرف فيه سكان زهران أية وسيلة من وسائل الاعلام . ومع أن وسائل الاعلام انتشرت حالياً على نطاق واسع في هذه البلاد ، إلا أن عادة المشاعل ما زالت قائمة ومعمول بها .

٦ - المراجيح :

كان الرجل في بلاد زهران قبل خمسين عاماً أو أكثر لا يسافر لأداء فريضة الحج إلا بعد أن يكتب وصيته ، وبعد أن يودع أهله بالدموع الغزيرة وداع المفارق الذي لن يعود . ويرجع ذلك الوداع المرير إلى أسباب كثيرة منها صعوبة المواصلات ، وأخطار الطريق ، وقلة مناهل المياه ، وبعد الشقة حيث كان السفر من زهران إلى مكة المكرمة يستغرق آنذاك مسيرة ستة أو سبعة أيام مشياً على الأقدام ، يتعرض خلالها المسافر للموت جوعاً وعطشاً خصوصاً إذا ضل عن الطريق . لهذه الأسباب مجتمعة كان أقاربه يودعونه ذلك الوداع المرير ، وكانوا ينتظرون أوبته على أحر من جمر اللظى . وللترفيه عن هؤلاء المحزونين ، كان رجال القرية ينصبون المراجيح طيلة أيام عيد الأضحى المبارك ، ويجمعون حولها ويبدأ التمرجح مصحوباً بقصائد شاعر القرية ، وغالباً ما تكون قصائد هزلية يشارفها إلى قرب عودة الحجاج ، وإلى السمين وغير السمين من الأضاحي .

وتشبه هذه المراجيح المراجيح التي تنصب في المدن في أيام عيد الفطر السعيد ، والهدف منها الاستمتاع والترفيه عن النفس . وقد اختفت هذه العادة نهائياً في السنوات الأخيرة .

٧ - رمى المثل :

اعتاد سكان بلاد زهران في الماضي إقامة حفلاتهم بعد انتهاء مواسم الحصاد ، حيث يجدون الوقت الكافي للراحة والتفرغ لإحياء تلك الحفلات . وفي تلك الأثناء يتبارى الشباب

في رمي المثل بالرصاص والمثل عبارة عن هدف صغير يوضع في مكان مرتفع على بعد ربع كيلومتر أو أكثر من مكان المباراة، وغالباً، ما يكون الهدف حجراً أبيضاً يمكن رؤيته بسهولة تامة.

ويشارك في رمي المثل عادة مجموعة قبائل، فتختار كل قبيلة أكفأ رجل فيها على التصويب. وبالتالي يبدأ الرمي، فإذا أصاب أحد المشتركين الهدف اعتبرت قبيلته فائزة في تلك المباراة البطولية. ثم يعاد نصب الهدف ويأخذ المتبارون في رميه بالرصاص من جديد، وهكذا حتى ينتهي الوقت المحدد للرمي.

والهدف من رمي المثل هو بث روح الشجاعة في نفوس الشباب، وتعويدهم على إطلاق الرصاص وإصابة الأهداف ليتمكنوا من الدفاع بجدارة عن أنفسهم ووطنهم في أوقات الحروب. وقد أوشكت هذه العادة على الانقراض إن لم تكن قد انقرضت فعلاً.

٨ - الكسوة:

وهي على نوعين:

* كسوة المسافر.

* كسوة الرجل لقريته.

١ - كسوة المسافر:

تعود شباب زهران منذ العهود القديمة على حب الأسفار والتنقل من مكان إلى آخر طلباً للرزق والعلم والأدب والترريح عن النفس. وقد جرت العادة على أن يقدم المسافر حال عودته من سفره كسوة لجميع أفراد أسرته وأقاربه. وتتفاوت هذه الكسوة حسب درجة القرابة، فيقدم المسافر عادة لأبيه مشلحاً صوفياً ثميناً وملابس كاملة. كما يقدم لإخوته وأعمامه وأخواله ملابس كاملة أيضاً تتكون من الثوب والعمامة والعقال وما يتبعها. أما بقية الأقارب فيقدم لكل واحد منهم عمامة وعقالاً وهكذا الحال بالنسبة للنساء، حيث تأخذ كل واحدة منهن نصيبها من الملابس النسائية كالثياب الموشاة بالقصب، والمناديل والمسافح الحريرية والخمر السوداء والخواك^(١).

(١) الخواك: جمع حوكة وهي عبارة عن قطعة قماش حريرية تضعها المرأة فوق ملابسها زيادة في الاحتشام

وفي بعض الأوقات لا تكفي الملابس لكسوة جميع الأقارب، فيضطر صاحب الكسوة إلى التعويض عن ذلك النقص بالمال، فيعطي كل شخص مبلغاً من المال يعادل ما يستحقه من كسوة.

ب - كسوة الرجل لقريته :

عادة قديمة تعارف عليها الناس في بلاد زهران، وما زالوا متمسكين بها، ومؤداها كالتالي :

إذا تزوجت الفتاة في زهران كرسست جميع وقتها لخدمة زوجها وأولادها لدرجة أنها لا تجد الفرصة الكافية لزيارة ذويها إلا في النادر القليل المتمثل في الأعياد والمناسبات كحفلات الزواج والختان مثلاً. وعند زيارتها لأسرتها يجب على كبير الأسرة تقديم كسوة لها بمثابة هدية من الأسرة لإبنتها الزائرة. وغالباً ما تكون الكسوة مصنفاً حريراً ثميناً أو طاقة من القماش الملون.

ولهذه الكسوة تأثير معنوي كبير في نفس الزائرة، وفي نفس زوجها، بغض النظر عن قيمتها المادية، وتقديمتها دليل على رضا أسرة الزائرة، وعدمه يدل على العكس.

٩ - الرfid :

عبارة عن مبلغ من المال يعطى كمعونة لمن أصيب بكارثة من كوارث الدنيا، كمن يصاب باحترق منزله، أو كمن حكم عليه بدفع دية، وهو معسر شريطة أن لا يكون في عمله ما يمس بدينه وشرفه وكرامة قبيلته.

ويتولى أقارب المصاب عادة جمع الرfid من كافة قبائل زهران، ومن شبابه الموجودين في بقية مناطق المملكة. ويستمر الجمع حتى يكتمل المبلغ المطلوب ثم يسلم للمصاب. وما زالت هذه العادة الحسنة - التي تهدف إلى مد يد العون والمساعدة للمنكوبين - باقية حتى الآن، ولا يمكن أن يفرط فيها رجال زهران، لاقتناعهم بفوائدها الإنسانية الجمّة.

١٠ - السائرة :

مبلغ رمزي من المال يقدم في حفلات الزواج وحفلات الختان (الطهار) لمساعدة القائم بها. والسائرة عبارة عن دين غير مباشر يفرض على من يتسلمه إعادته في نفس المناسبات.

وربما حان ميعاد تسديده وهو لا يملك شيئاً فيضطر إلى الاستدانة لكي يتمكن من أدائه .
وضرر هذه العادة - كما يبدو - أكثر من فائدها المؤقتة ، ولذلك فهي آخذة في التلاشي
والاضمحلال ، وستنتهي فعلاً في خلال فترة يسيرة من الزمن . وتشبه السائرة الرغد الذي
يقدم في المدن في حفلات الزواج إلا أنها هنا تدفع نقداً ، بينما يكون الرغد في المدن عبارة عن
خروف أو كيس أرز أو تنكة سمن وما شابه ذلك .

١١- تبادل العلوم :

عادة قديمة جداً ، وما زالت قائمة حتى الآن . ومؤداها أنه إذا وفد رجل مسافر أو من
قرية بعيدة على قريب أو صديق له ، فإنه يبدأ على الفور بإعلامه عن أسباب قدومه ، وعن
أخبار قريته ، وفي مقدمتها الأخبار الزراعية وأخبار المطر . ويختصر يسرد الوافد على المقيم
جميع ما يمكن أن يسأل عنه . وفي أثناء ذلك السرد يكون صاحب الدار مصغياً إلى محدثه
تمام الإصغاء بدون أن يقاطعه في حديثه حتى إذا انتهى بدأ صاحب الدار في الرد عليه بنفس
الطريقة مبتدئاً بالترحيب والتسهيل به ، ثم يأخذ بدوره في سرد أخبار قريته وأهم الأحداث
التي حصلت بها في تلك الفترة . وإذا كان في البيت رجل من أهل القرية أكبر سناً من
صاحب الدار تولى الرد على الضيف وذلك تقديراً لكبار السن .

ومن الجدير بالذكر أن لهذه العادة فوائد كثيرة منها : قضاء الوقت في الحديث والمباشطة
بحيث يشعر الضيف أنه في داره وبين أهله وذويه ، وبالتالي التعرف على الأخبار دون اللجوء
إلى الأسئلة والأجوبة المتكررة التي تبعث السأم والملل في النفوس .

يختلف النشاط الاقتصادي في بلاد زهران من مكان إلى آخر، تبعاً لاختلاف مظاهر السطح، وكمية الأمطار الساقطة، ومدى قدرة الفرد على امتلاك الأرض الزراعية فنجد الزراعة تتركز بشكل واضح في الأراضي السهلة والأودية والمدرجات الجبلية الصالحة للزراعة والتي تسقط عليها أمطار كافية. بينما نجد الأفراد الذين لا يملكون أراضٍ زراعية يعملون في حرفتي التجارة والصناعة لكي يوفرُوا لأسرهم ضروريات الحياة المعيشية. أما حرفة الرعي فتقوم في المناطق الجبلية التي لا تسقط عليها أمطار كافية لقيام زراعة، وإنما تكفي لنمو نباتات وأعشاب فقيرة تتغذى بها الحيوانات كالجبال والأبقار والأغنام والماعز.

مما سبق يتضح لنا أن الحرف السائدة في بلاد زهران هي :

- أ - الزراعة.
- ب - التجارة.
- ج - الرعي.
- د - الصناعة.

أ - الزراعة :

وهي الحرفة الأولى في بلاد زهران، وفيها يعمل معظم السكان وهي كما قيل سابقاً «أم الاقتصاد» وحجر الزاوية الذي قامت عليه الحضارة البشرية، لوجودها - أي الزراعة - استقرار البشر، ولعدمها تفرقوا ونزحوا عن مواطنهم الأصلية.

وببلاد زهران منطقة زراعية، وكان أهلها يعتمدون في حياتهم المعيشية إلى وقت ليس ببعيد على الزراعة، إذ لا تجد جزءاً من هذه البلاد غير مزروع، حتى الجبال، فقد حولت إلى مدرجات زراعية لاستغلالها، ومع ذلك فما زالت زراعة فقيرة إذا ما قسناها بزراعة بعض مناطق المملكة العربية السعودية كالقصيم والأحساء مثلاً، ويعود فقرها وتأخرها النسبي إلى قلة مصادر المياه والاعتماد على الآلات الزراعية القديمة وانصراف الشباب إلى الوظائف الحكومية.



المدرجات الزراعية ببلاذ زهران

✽ مصادر المياه :

تقوم زراعة بلاذ زهران على مصدرين هما الأمطار والآبار العادية، وتسقط الأمطار غالباً في فصلي الشتاء والربيع، وتنقطع تماماً في فصلي الصيف والخريف، فيترتب على هذا تقسيم الأرض الزراعية إلى قسمين يزرع أحدهما في فصلي المطر ويسمى «العثري» وغالباً ما يكون هذا القسم مدرجات جبلية، ويزرع القسم الآخر في فصل الجفاف معتمداً على الآبار العادية ويسمى «المسقوي» ويلاحظ أن أمطار هذه البلاد تسقط أحياناً على شكل زخات عنيفة، فتقضي على المزروعات وتجرف التربة. وفي بعض السنين تنقطع تقريباً فيترتب على ذلك تعطيل الزراعة وانعدامها أحياناً، الأمر الذي يؤدي إلى ارتفاع أسعار الغلال. وأحياناً يسقط المطر بانتظام فتنتعش الزراعة، وتنتج الأرض أجود الغلات وأوفرها، فيعم الرخاء، وتنخفض الأسعار.

أما الآبار العادية فهي المصدر الثاني لري المزروعات وهي آبار عميقة جداً، ويستخرج منها الزراع الماء بواسطة السواني أى القرب الكبيرة التي تسحبها الثيران، وهذه الطريقة بلا شك بطيئة ومتعبة في آن واحد.

وتسبب هذه الآبار مشكلات بين المزارعين لقلة مياهها ولاشترائك أكثر من مزارع فيها لضيق الرقعة الزراعية، فينتج عن ذلك أضرار بالغة في مقدمتها قلة الإنتاج، واعتقد جازماً أن أنسب حل لهذه المشكلة هو حفر آبار ارتوازية لسد العجز في الري، ولتحقيق إنتاج أفضل وأكثر وفرة. هذا بالإضافة إلى إقامة بعض السدود لحجز مياه السيول، علماً بأن العمل يجري الآن في إقامة سد بوادي الصدر.

ب - الاعتماد على الآلات الزراعية القديمة :

كانت زراعة بلاد زهران تعتمد على الآلات الزراعية التقليدية كالمحراث والمنجل والفأس والمسحاة والسواني. وفي السنوات العشر الأخيرة بدأ بعض المزارعين في استخدام آلات الزراعة الحديثة كمضخات الماء والحراثات، وذلك بفضل إرشاد وتوجيه المكتب الزراعي بالمنطق، ونتيجة لمد البنك الزراعي بالباحة للمزارعين بالسلف المالية لشراء تلك الآليات التي سيكون لها - ولا شك - أثر فعال في تطوير الزراعة إذا استخدمت بصفة مستمرة وعلى نطاق واسع. كما أخذ المكتب الزراعي يؤجر للمزارعين الحراثات الآلية التي تنجز في ساعة عمل يوم كامل بالآلات القديمة.

أما تسميد الأرض فما زال قائماً على السماد الطبيعي، ولم يعرف المزارعون بعد الأسمدة الكيماوية، كما أنهم على جهل تام بعملية الدورات الزراعية التي تريح الأرض وتجعلها تنتج إنتاجاً جيداً ووافراً، فهم يزرعون الأرض بصفة مستمرة، وفي نفس الوقت يزرع فيها في كل موسم غلة زراعية تختلف عن سابقتها، وهذا بطبيعة الحال يضر بالأرض، وينهك التربة إلى حد كبير. زد على ذلك أن الآفات الزراعية تفتك بالمزروعات أمام أعين المزارعين وهم حيارى لا يعرفون طرق مقاومتها، فينتج عن ذلك إتلاف جزء كبير من الثمار.

ويلاحظ في أوقات سقوط الأمطار أن كميات كبيرة من الماء تركد في الأرض وتبقى فيها فترة طويلة، والمزارعون لا يحركون ساكناً، ولهم الحق في ذلك لأنه لم يخطر في بالهم أن هناك عملية زراعية تسمى عملية الصرف، الهدف منها تصريف المياه الزائدة عن حاجة الأرض، لكي لا تتبخر المياه بفضل الحرارة، وتختلف كميات كبيرة من الأملاح في الأرض، ومعروف أن وجود أملاح فائضة عن حاجة الأرض ينزل ضرراً كبيراً بتربتها، ويقلل من إنتاجها.

جـ - انصراف الشباب عن الزراعة واتجاههم إلى الوظائف الحكومية :

العمل الزراعي متعب للغاية وممل في نفس الوقت، خصوصاً إذا كانت الأرض غير خصبة، ولا توفر للعاملين فيها ما يحتاجونه من ضروريات الحياة المعيشية فضلاً عن كمالياتها، ولهذا السبب انصرف الشباب عن الزراعة كلياً واتجهوا إلى الوظائف الحكومية ذات الدخل الثابت المنتظم الذي يضمن لهم حياة أفضل، ومكانة اجتماعية أرفع، وحالة نفسية أكثر استقراراً. وقد تجلت هذه الظاهرة بوضوح في الأعوام الأخيرة حيث انتشر التعليم على نطاق واسع في بلاد زهران، والشباب المتعلم عادة يفضل العمل الوظيفي على الأعمال الحرة ومن ضمنها الزراعة.

وبدوري أنصح شباب زهران المقيمين بها بإعطاء الزراعة ما تستحقه من العناية والاهتمام، لا على حساب أعمالهم الرسمية، وإنما على حساب أوقات فراغهم التي لا يستفيدون منها شيئاً، وتضييع عليهم هباء منثوراً حرصاً على سمعة بلادهم الاقتصادية، وحفظاً للأراضي الزراعية - التي سقيت بدماء الآباء والأجداد - من الدمار والخراب.



أشجار البن في قرية الكبة في أعلى جبل شدا بنهامة زهران

٢ - الغلات الزراعية :

يزرع سكان بلاد زهران كل شبر من الأرض تتوافر فيه المياه والتربة الصالحة ، فتجد المزارع الخصبة تنتشر انتشاراً كبيراً في الأودية وسفوح الجبال وهي ترفل بكسائها الأخضر ، وتباهي بما تحمله من ثمار شهية . وتنتج هذه المزارع محاصيل زراعية متنوعة تغطي الاستهلاك المحلي ، وتفيض منها كميات لا بأس بها تصدر إلى بقية مدن المملكة العربية السعودية وخاصة مدن المنطقة الغربية الطائف ومكة وجدة .

ويمكن تقسيم المحاصيل الزراعية إلى الأقسام التالية :

١ - الحبوب .

ب - الفواكه .

ج - الخضروات .

١ - الحبوب :

تأتي الحبوب بأنواعها في مقدمة الإنتاج الزراعي في بلاد زهران ، وتصدر كميات كبيرة منها إلى الطائف ومكة وجدة وتربية النخل والخرمه ، ويلاحظ أن لكل غلة من الحبوب مجموعة أنواع ، يختلف كل نوع منها عن النوع الآخر من حيث الجودة وزمن النضج ، وسنشير إلى جميع تلك الأنواع .

١ - القمح : وهو غلة صيفية ، ويأتي في مقدمة الحبوب سواء من حيث الإنتاج أو الاستهلاك ، وله خمسة أنواع رئيسية هي :

١ - المابية : وهي أجود أنواع القمح ، وتمتاز بطول حبتها ، وتستغرق زراعتها خمسة أشهر كاملة .

ب - العسيرة : وتلي المابية من حيث الجودة ، وتستغرق نفس الزمن في الزراعة .

ج - الخولانية : وهي سريعة النضج ، وحبتها قصيرة .

د - النخلية : وتمتاز بلونها الأبيض ، وتشبه إلى حد كبير القمح المستورد من استراليا .

هـ - السمراء : وحبتها سمراء كبيرة نسبياً .

٢ - الشعير : ويأتي الشعير بعد القمح مباشرة من حيث كمية الإنتاج ، وهو غلة صيفية ، ويستخدم كغذاء للمواشي وله ثلاثة أنواع هي :

١ - الشعير العربي : ويمتاز بسنبلته الكبيرة ، واستطالة حبته ، وهو أجود أنواع الشعير ، وتستغرق زراعته خمسة أشهر .

ب - العجلانة : واسم هذا النوع يدل على سرعة نضجه إذ تستغرق زراعته ثلاثة أشهر فقط .

ج - الشعير المصري : وسنبلته طويلة ذات شكل رباعي وسداسي أحياناً .

٣ - الذرة : وتأتي في المرتبة الثالثة ، وهي غلة شتوية ، تستخدم كغذاء للمواشي ولها خمسة أنواع رئيسية هي :

١ - الذرة البيضاء : وتمتاز ببياض لونها وطول عودها ، لدرجة أنه يبلغ أحياناً ما يزيد على ثلاثة أمتار .

ب - الذرة الحمراء : وتنقسم إلى قسمين هما القذافة ذات العود القصير ، والبلس ذات العود الطويل .

ج - الذرة الصفراء : واسمها مشتق من صفار لونها ، وحبها صغيرة .

د - القشاشة : وحبها صفراء كبيرة صلبة .

هـ - البسيصة : وهي أسرع أنواع الذرة في النضج .

٤ - الدق : وهو غلة شتوية ذات نوعين هما : المجدولة ، وحبها صغيرة جداً ، وتتراوح مدة بقائها في الأرض من ثلاثة أشهر إلى أربعة أشهر ، والسيال وحبها أصغر من حبة الدخن ولونها أحمر .

٥ - الدخن : وتقع معظم مزارعه في سهل تهامة ، لأنه يحتاج رطوبة عالية وحرارة شديدة ، وهو المحصول الأول في تهامة زهران ، ويستخدم كغذاء للإنسان والمواشي .

٦ - حبوب أخرى متنوعة أهمها : العدس واللوبيا والحبش (حب الحاج) .

ب - الفواكه :

تنتج بلاد زهران - سراة تهامة - كميات كبيرة من الفواكه ، يمكن ترتيبها حسب الأهمية الاقتصادية كالتالي :

١ - الرمان :

وتقع أهم مزارعه في وادي بطحان وتربة ، ويمتاز بحجمه الكبير ومذاقه الحلو، ويدر على ملاك مزارعه أرباحاً جيدة .

٢ - اللوز

وتنتشر أشجاره في جميع بلاد زهران ، وتزرع عادة حول الأراضي الزراعية وفي المدرجات الجبلية ، وتسقى لمدة عامين فقط ثم تعتمد بعد ذلك على المطر، ولهذا فهي لا تحتاج إلى مجهود كبير . وتصدر كميات كبيرة من اللوز إلى جميع مدن المملكة العربية السعودية حيث تباع بأثمان مرتفعة . ولوز بلاد زهران غني عن التعريف ، ولكنه - وللأسف الشديد - يتعرض في بعض السنوات لفتك الآفات الزراعية التي يجهل الزراع حتى الآن طرق مقاومتها ، بالإضافة إلى سقوط ثمارها في بعض الأحيان نتيجة لهبوب رياح باردة من الجهة الجنوبية الغربية تسمى القِرَّة ، وتسقوط أمطار العواصف المصحوبة بالبرد ، فينتج عن ذلك قلة في الإنتاج ، وهذا يؤدي إلى ارتفاع أثمان اللوز حتى تصل أحياناً إلى الضعف أو أكثر .

٣ - الخوخ :

ويلى الرمان واللوز من حيث غزارة الإنتاج ، ويستهلك السكان كميات بسيطة منه ، ويصدر الباقي إلى مدن المنطقة الغربية ، ويباع في أسواق بلاد زهران الأسبوعية بأثمنه الأثمان ، فتباع المائة حبة منه أحياناً بعدة ريالات .

٤ - فواكه أخرى :

أهمها العنب والمشمش والبطيخ والسفرجل والتين والبرشومي (التين الشوكي) والتفاح الحجازي والبرتقال والموز . وتقع أهم وأكثر مزارع الموز في جبل شدا زهران في تهامة ، وهذا الجبل يمتاز بغزارة مائه وخصوبة تربته ، ويلاحظ أن هذا الجبل ينتج غلات أخرى بالإضافة إلى الموز وأهمها البن والليمون .

جـ - الخضروات :

لم يعرف سكان بلاد زهران زراعة الخضروات إلا منذ فترة وجيزة وذلك بفضل توجيه وإرشاد المكتب الزراعي للأهالي ، وتعريفهم بأهمية الخضروات من الناحيتين الغذائية والتجارية ، فأقبلوا على زراعتها للغرضين معا .

أما أهم الخضروات التي تزرع فعلاً في بلاد زهران فهي : البطاطس والبامية والفاصولياء والطماطم والباذنجان الأسود والملوخية والقرع .

الأشجار الحرجية :

تنتشر الأشجار الحرجية بغزارة في بلاد زهران ، فتضفي على سهولها وجبالها نظرة وجمالاً ، بالإضافة إلى كونها تمثل ثروة خشبية لا يستهان بها . ومن أهم الاشجار الحرجية ما يأتي :

١ - الزيتون «العتم» :

وهو من الأشجار الدائمة الخضرة التي تنمو في المناطق ذات الأمطار الشتوية وهذا المناخ يشبه الى حد كبير مناخ بلاد زهران ، وخاصة مناخ الجهات الغربية من مرتفعات السراة . وتكسو غابات الزيتون مساحات واسعة في زهران وقد أدركت وزارة الزراعة أهميتها الاقتصادية فبوشر منذ بضع سنوات في دراسة وتنفيذ مشروع يرمي إلى تطعيمها لتحويلها إلى أشجار مثمرة .

ونعلم جميعاً أن الزيتون غلة غذائية ، يستخرج منها مادة دهنية ، يستخدم النقي منها في الطعام ، ويستخدم غير النقي في بعض الصناعات ، كصناعة الصابون وصناعة الشمع . وإذا وجدت غابات الزيتون العناية الكافية - وستجدها إن شاء الله قريباً - فسوف تصبح مصدراً من مصادر الدخل القومي لا يستهان به .

٢ - العرعر :

وتأتي بعد أشجار الزيتون مباشرة من حيث الانتشار والكثافة ، وهي ذات رائحة عبقة ، ومنها يستخرج سكان بلاد زهران القطران ، ومن خشبها يسقفون منازلهم ، ويصنعون الأبواب والنوافذ ودعامات البيوت «الزفر» .

٣ - أشجار أخرى :

أهمها الغرب والضرو والسمر والسدر والقرص والسيال ، والعرين والشبارق . أما أشهر غابات بلاد زهران فهي : غابة عمضان بدوس ، وغابة عويرة ، وغابة ضرك ، وغابة جبل الانصب ، وغابة بلخزمر ، وغابة شعب العرعر ، وغابة وادي الحباري ، وغابة

جبل قسيس في وادي الصدر، وتختلف المساحات بين غابة وأخرى، وكذلك تتفاوت من حيث الكثافة وضخامة الأشجار.

ويلاحظ ازدياد كثافة الأشجار واتساع مساحات الغابات في الأعوام الأخيرة وهذا فيما اعتقد يرجع للأسباب التالية:

- ١ - الأثر الإيجابي الذي نجم عن تعميم قرار مجلس الوزراء رقم ٥٠٢٨ في ٤/٤/١٣٧٨ هـ والمتضمن منع قطع الأشجار الخضراء، ومعاقبة من يخالف ذلك.
- ٢ - وضع حراس في مناطق الغابات.
- ٣ - توزيع المكتب الزراعي في المندق لوحات إرشادية تحث الأهالي على ضرورة المحافظة على ثروة بلادهم الخشبية، وتبين لهم قيمتها الاقتصادية.
- ٤ - النهضة العمرانية التي سادت بلاد زهران أخيراً وانصراف السكان إلى استخدام الأسمنت والحديد في بناء منازلهم بدلاً من الأخشاب.

١ - التجارة:

وهي الحرفة الثانية في بلاد زهران، ويعمل فيها الكثير من سكانها، وخصوصاً أصحاب الأراضي الزراعية الواسعة ذات الإنتاج الوافر، وملاك الأغنام والأبقار. وتنقسم تجارة بلاد زهران إلى قسمين هما:

- ١ - التجارة المحلية القائمة في داخل البلاد، وخصوصاً في الأسواق الأسبوعية.
- ٢ - التجارة الداخلية التي تتم بين سكان بلاد زهران وبين بقية مدن المملكة العربية السعودية.

١ - التجارة المحلية:

جرت العادة في بلاد زهران على إقامة أسواق في أيام معلومات من كل أسبوع لكل قبيلة سوقها الخاص بها، ويقام في أكبر قراها، فيفد إليه الناس من جميع نواحي زهران للبيع والشراء. وأهم السلع التي تباع في تلك الأسواق هي:

الغلات الزراعية بأنواعها، والأغنام والأبقار والإبل، والأخشاب، والأقمشة ومنتجات الألبان والعسل والأواني النحاسية، والحلى الفضية، والبسط والمظلات النسائية وما شابه

ذلك . ويستمر السوق من طلوع الشمس حتى حلول صلاة الظهر، حيث ينفض جمع الناس، ويعود كل فرد إلى قريته حاملاً ما اشتراه من سلع .

ومن الجدير بالذكر أن هناك تجاراً متنقلين يذهبون بسلعهم من سوق إلى آخر، ولهم في كل سوق أماكن خاصة بهم يعرضون فيها سلعهم . كما أن اليوم الذي يقام فيه السوق يعتبر بمثابة عطلة أسبوعية للأهالي يخلدون فيها إلى الراحة ويهبطون^(١) إلى السوق لشراء ما يحتاجونه من سلع، وللإجتماع بأصدقائهم ومعارفهم من وفود القبائل الأخرى . وعلى العموم فسوق كل قبيلة يعتبر مهرجاناً أسبوعياً لها، يتقاطر إليه الأفراد والجماعات من كل مكان، لا للبيع والشراء فحسب بل وللإجتماع والترفيه عن النفس .

وفيما يلي أهم الأسواق الأسبوعية في بلاد زهران سراة وتامة :

عدد	اسم السوق	القرية التي يقام بها	القبيلة	المكان
١ -	سوق السبت	المندق	بنو كنانة	السراة
٢ -	سوق السبت	الرومي	بنو عامر	السراة
٣ -	سوق السبت	النقعة	بنو حسن	السراة
٤ -	سوق الاحد	الحجرة	بنو سليم	تهامة
٥ -	سوق أحد مشرف	مشرف	دوقة المشايخ	تهامة
٦ -	سوق الثلاثاء	قلوه	الاحلاف	تهامة
٧ -	سوق الثلاثاء	الكرادسة	بنو عدوان	السراة
٨ -	سوق الثلاثاء	آل نعمة	دوس بني فهم	السراة
٩ -	سوق الأربعاء	الاطاولة	قريش	السراة
١٠ -	سوق الأربعاء	الصفح	بلخزمر	السراة
١١ -	سوق الخميس	برحرح	دوس بني فهم	السراة
١٢ -	سوق الخميس	الشعراء	بنو سليم	تهامة
١٣ -	سوق السبت	الجرداء	دوس بني على	تهامة
١٤ -	سوق الخميس	المخواه	بني عمر العلي	تهامة
١٥ -	سوق الخميس	نيرا	بني عمر الاشاعيب	تهامة

١ - يهبطون: من هبط وتعني لدى الزهرانيين ذهب باللهجة المحلية

ومن الملاحظ أنه لم يكن في بلاد زهران قبل عشرين عاماً أسواق عامة منتظمة طويلة أيام الأسبوع، وإنما كان جل اعتماد السكان في البيع والشراء على الأسواق الأسبوعية فقط. ومع مرور الأيام بدأت المتاجر الكبيرة تفتح أبوابها باستمرار فنتج عن ذلك تكوين الأسواق اليومية الثابتة في معظم القرى، وأصبح الفرد يجد حاجته في قريته أو في أقرب قرية لها. ومع ذلك فما زالت الأسواق الأسبوعية التقليدية قائمة ومحفوظة على مكانتها وقيمتها التجارية والاجتماعية في نفوس السكان، والمشاهد لها يرى صورة قريبة الشبه من الأسواق العربية التي أقامها أجدادنا منذ ألفي عام، والتي تبارى الكتاب في وصفها وتصويرها لنا في ثنايا كتب الأدب والتاريخ.

٢ - التجارة الداخلية:

ونقصد بها عملية البيع والشراء التي تتم بين سكان بلاد زهران من ناحية، وبين تجار بقية مدن المملكة العربية السعودية من ناحية أخرى. وتنشط هذه التجارة في سنوات الرخاء حيث تجود الأرض الزراعية بأوفر وأجود الغلات فيسافر الناس لبيع ما يفيض عن حاجتهم من الغلات الزراعية بأنواعها بالإضافة إلى السمن البري وعسل النحل المصفى وغير المصفى. وغالباً ما تتم هذه العملية - التجارة - في مدن المنطقة الغربية من المملكة لقربها من بلاد زهران. وبعد الانتهاء من عملية البيع يشتري كل فرد ما يحتاج إليه من أقمشة وسلع أخرى، ثم يعود إلى بلدته بالربح الوفير.

وفي موسم الحج يختار الرعاة أسمن أبقارهم وأغنامهم وجمالهم ويسافرون بها مشياً على الأقدام إلى مكة المكرمة، ومنها إلى عرفات ومنى حيث يبيعونها هناك بأثمان مناسبة على حجاج بيت الله الحرام.

وتنشط تجارة التمور في أواخر فصل الصيف، فيسافر التجار من زهران إلى تربة النخل والخرمة، ويعودون بالسيارات محملة بالتمور، وبالتالي يأخذون في بيعها في الأسواق الأسبوعية المتنقلة.

كما أن هناك صلات تجارية قوية بين تجار بلاد زهران، وبين تجار مدن المنطقة الغربية، وخاصة الطائف ومكة وجدة. ومن الآخرين يشتري ما تحتاج إليه بلاد زهران من شتى أنواع السلع، وفي مقدمتها الأقمشة ومواد البناء والأواني النحاسية.

وقد نتج عن تلك الصلات توفر سائر أنواع البضائع في زهران، والقضاء على عملية الاحتكار التي كانت تسيطر على تجارة الأسواق الأسبوعية، وبالتالي اعتدال الأسعار إلى حد كبير مما جعل السكان يقبلون على شراء حاجياتهم من داخل بلاد زهران بدلاً من تكبد مشاق السفر لشرائها من المدن القريبة.

وفي هذا كما يبدو توفير للوقت والمال، وإنعاش للتجارة المحلية والداخلية وقد انتشرت حرفة التجارة بشكل ملحوظ في بلاد زهران في الأعوام الأخيرة واتجه كثير من السكان إلى العمل فيها، فترتب على ذلك ارتفاع مستوى المعيشة، ونمو الوعي الاقتصادي فيها نتيجة للاحتكاك المباشر بين تجار بلاد زهران وبين تجار مدن المملكة العربية السعودية.

جـ - الثروة الحيوانية :

تأتي حرفة رعي المواشي من حيث الأهمية بعد حرفتي الزراعة والتجارة، وتمثل مصدراً هاماً من مصادر الدخل القومي في بلاد زهران، ويحترفها في الغالب الأفراد الذين لا يملكون أراض زراعية توفر لهم ما يحتاجونه من أسباب الحياة المعيشية.

وبالرغم من أن حرفة الرعي في المملكة العربية السعودية على وجه العموم حرفة إستهلاك إلا أن الرعاة في بلاد زهران مستهلكون ومنتجون في آن واحد.

وتتركز حرفة الرعي في الجهات قليلة المطر ذات النباتات والأعشاب الفقيرة، وخصوصاً في الجهات الجبلية الواقعة في شرقي تهامة، وشرقي مرتفعات السراة حيث تقل الأراضي الصالحة للزراعة.

وتنتعش حرفة الرعي في فصلي الشتاء والربيع حيث تسقط الأمطار وتنمو الأعشاب البرية بوفرة، فينتج عن ذلك الانتعاش إنخفاض أثمان الحيوانات ومنتجاتها كالألبان والسمن البري والصوف.

ورعاة بلاد زهران سراة وتهامة مستقرون في الغالب بعكس الرعاة في بقية مناطق المملكة العربية السعودية، ويندر أن يرحلوا عن قراهم، اللهم إلا في سنوات الجذب حيث تقل كمية الأمطار إلى درجة كبيرة، وبالتالي تنعدم الحياة النباتية البرية، فيضطر الرعاة حينذاك إلى التنقل من مكان إلى آخر طلباً للماء والكأ في داخل حدود بلاد زهران، وغالباً ما يستقرون حول مناهل المياه الدائمة، ويكونون على اتصال دائم بقراهم. ويطلق الأهالي على هذه الفئة من الرعاة اسم (العزوب).

وأهم الحيوانات التي يقومون برعيها هي الأغنام والماعز في السراة، والإبل والأبقار والأغنام والماعز في تهامة. وتصدر كميات كبيرة من هذه الحيوانات إلى بقية مدن المملكة وخاصة في موسم الحج كما يستهلك الأهالي أعداداً لا بأس بها في الأعياد والمناسبات، وقد عانى الرعاة في السنوات الماضية من مشكلة الأحمية، وهي أراض غير زراعية تنمو فيها النباتات والأعشاب البرية بوفرة، ولا يسمح لغير أصحابها بالرعي فيها.

وقد انتشرت تلك الأحمية في جميع أنحاء بلاد زهران لدرجة أنه أصبح لكل شخص تقريباً حِمى خاص به، علاوة على الأحمية القبلية العامة المتعارف عليها مما سبب مشكلات خطيرة ومستمرة بين السكان، ومن أبرزها تلك المشكلة التي وقعت بين قريتي عنازة والجماجم بقبيلة بالخزمر، وأدت إلى مقتل أربعة عشر رجلاً من رجال القريتين. وهذه المشكلة لفتت أنظار المسؤولين إلى الأحمية فصدر تعميم وزارة الداخلية رقم ١٠٢ / ١٠ / ص / ٣٧٣٠ / ١ في ٢١ / ٤ / ١٣٨٩ هـ ونص على وجوب المحافظة على الأراضي غير المزروعة للدولة على اعتبار أنها أراض بيضاء. ولكي ينفذ هذا التعميم الحاسم على نطاق واسع فقد أخذت السلطات الإدارية بزهران التعهدات اللازمة على جميع أصحاب الأحمية بعدم حماية تلك الأراضي. فتنفس الرعاة الصعداء، ووجدت الحيوانات الغذاء الكافي لها مما ساعد على تكاثرها، وبالتالي القضاء على تلك العقبة الكأداء التي كانت تقف حجرة عثرة في طريق نمو الثروة الحيوانية في بلاد زهران.

د - الصناعة:

وهي المظهر الرابع من مظاهر الحياة الاقتصادية في بلاد زهران، وهي بطبيعة الحال صناعة يدوية بسيطة، تقتصر على صنع الأدوات الضرورية لحياة الناس العامة، ويعمل فيها فئة قليلة من السكان الذين لا يملكون أراضٍ زراعية تؤمن لهم متطلبات الحياة المعيشية.

ومن أهم أنواع تلك الصناعة الصناعات التالية:

١ - صناعة المنسوجات الصوفية.

٢ - صناعة الأدوات الزراعية.

٣ - صناعة الحلى الفضية.

٤ - المصنوعات الجلدية.

٥ - الصناعات الخشبية .

٦ - صناعة الأدوات السعفية .

١ - صناعة المنسوجات الصوفية :

يساعد الاستهلاك المحلي الكبير للأغنام والأبقار على توفير مادة الصوف الخام الذي يصنع منه السكان المنسوجات التالية :

العباءات الصوفية : ويرتديها الرجال والنساء في فصلي الشتاء والربيع لشدة البرد، ويسمونها الأهالي «الجباب» (جمع جبة) وقد درجوا على استعمالها منذ مئات السنين . وتباع العباءة الرجالية عادة بمبلغ أربع مائة ريال . بينما تباع العباءة النسائية بمائتي ريال فقط . ويرجع هذا الاختلاف في الثمن إلى طول العباءة الرجالية ، وقصر العباءة النسائية . وتزين العباءات برسوم وأشكال هندسية جميلة ملونة . ومن مميزاتا تحملها لكثرة الاستعمال .

بيوت الشعر : وتشبه الخيام ، ويستخدمها الرعاة أثناء ترحالهم طلباً للماء والعشب . وينقسم بيت الشعر عادة إلى قسمين أحدهما أمامي للرجال والآخر خلفي للنساء . ومن مميزات بيوت الشعر دفءها . وتحملها للاستعمال عشرات السنين . البسط الصوفية : وتعرف باسم «الشمال (جمع شملة)» ويقصر استعمالها في الغالب على الرعاة .

٢ - صناعة الأدوات الزراعية :

تعتمد الزراعة في بلاد زهران إلى حد كبير على الأدوات الزراعية القديمة كالمحراث والمنجل والفأس والمسحاة ، ولهذا فهي تصنع محلياً ، ويقوم بصنعها أناس يطلق عليهم الأهالي اسم «الصناع» ومما يجدر ذكره أن الزراع لا يدفعون للصناع مبالغ مالية مقابل اصلاحهم لتلك الأدوات إذا اقتضت الضرورة إصلاحها ، بل يدفعون لهم مقادير من الحبوب في مواسم الحصاد فقط ، فيحتفظ الصناع بما يكفيهم منها ، ويبيعون الفائض عن حاجتهم في الأسواق الأسبوعية لينفقوا ثمنه في شراء ما يحتاجون إليه من ملابس وأشياء أخرى .

٣ - صناعة الحلى الفضية :

لم يستعمل النساء في بلاد زهران الحلى الذهبية في الزينة إلا منذ أعوام قليلة جداً، وذلك لإنخفاض مستوى المعيشة، ولإنشغال المرأة في أعمالها المنزلية، وفي مساعدة زوجها في أعماله الزراعية، وليس معنى هذا أن المرأة في هذه البلاد لم تكن تتزين بالحلى، بل العكس هو الصحيح فالمرأة في زهران تعودت على التحلى بالحلى الفضية التي تتحمل كثرة الاستعمال بالإضافة إلى رخص أثمانها، مما يتناسب مع ظروف زهران المادية.

وتصنع الحلى الفضية محلياً، وهذا يزيد في إقبال النساء عليها والتزين بها. ومن أهم أنواعها: الحجول والخواتم والشمالى والمسك واللزم والأقراط، والزمام والقلائد والبرم.

٤ - الصناعات الجلدية :

يحتفظ سكان بلاد زهران بجلود الحيوانات التي يذبحونها، ويقومون بدبغها ومن ثم يصنعون منها مصنوعات عديدة يستخدمونها في حياتهم الخاصة والعامة، ومن أهمها المصنوعات التالية:

قرب الماء: وتستعمل لإحضار الماء من الآبار وتساعد خفة وزنها على كثرة استعمالها، وحملها بسهولة من البئر إلى البيت.

الغروب (جمع غرب): وهي قرب كبيرة جداً يستخدمها الزراع في عملية استخراج مياه الري من الآبار، حيث تربط بحبال غليظة مصنوعة من الجلد، وتسحبها الثيران لآخراجها من البئر.

العكاك (جمع عكة): وهي عبارة عن قرب مختلفة الأحجام يحفظ فيها السمن البرى وعسل النحل، وتساعد العكاك على بقاء ما يحفظ فيها مدة طويلة بحالة سليمة.

الشكي (جمع شكوة): وهي قرب صغيرة يوضع فيها الحليب ويخض لتحويله إلى لبن رائب تستخرج منه الزبدة التي تتحول بدورها إلى سمن برى.

٥ - الصناعات الخشبية :

ذكرنا في موضوع الزراعة أن الأشجار تنتشر في بلاد زهران، وانتشارها يساعد بطبيعة الحال على توفير الأخشاب التي يصنع منها الأهالي الأشياء الآتية:

١ - الأبواب والنوافذ: يصنع سكان بلاد زهران أبواب منازلهم من خشب العرعر لمئاته واستقامة أعواده، ويزينونها بنقوش جميلة، فتبدو وكأنها لوحات فنية رسمها يراع فنان بارع.

ب - دعامات البيوت: ويسمونها الأهالي «الزفر» وهي عبارة عن أعمدة ضخمة يستند عليها خشب الأسقف، وتقوم بدور الأعمدة المسلحة في المنازل الحديثة. ويعنى الأهالي كثيراً بهذه الأعمدة الخشبية، فيزخرفونها بنقوش وأشكال هندسية ملونة بديعة، وتوضع عادة في مجالس الاستقبال.

ج - الدوارج^(١) والمحال: وهي عبارة عن بكرات دائرية أو مخروطية الشكل تصنع من أشجار الغرب، وتوضع على الآبار لتسهيل مهمة استخراج الماء من البئر بواسطة السواني.

د - الضمود: جمع ضمد، وهو عبارة عن خشبة تصنع بطريقة هندسية بارعة من خشب أشجار الغرب الذي يمتاز بنعومته وصلابته، ويضعها الزراع في رقاب الثيران أثناء عملية الحرث والري والدرس، وبواسطتها يتمكنوا من التحكم فيها وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

٦ - صناعة الأدوات السعفية:

تصنع هذه الأدوات من سعف النخل، وتستعمل في مجالات شتى أهمها التالي:

١ - مظلات النساء (جمع مظلة):

وهي قبعات كبيرة ذات حواف عريضة تضعها المرأة فوق رأسها عند خروجها من المنزل، وخاصة في فصل الصيف لتحميها من حرارة الشمس.

ب - قفاف الغلال (جمع قفة):

وهي أوعية كبيرة جداً يحفظ فيها الأهالي الحبوب بأنواعها وهي من الكبر بحيث تتسع لأكثر من ثلاثة أراذب من الحبوب، وتنحصر فائدتها في كونها تحفظ الغلال من الحشرات.

١ - الدوارج: جمع دارجة. والمحال: جمع محالة.

وتشبه صحون الطعام المقعرة، وتستعمل في حمل الهدايا من بيت إلى آخر، وفي وضع مستلزمات القهوة العربية والشاي أثناء حفلات الزفاف.

وهي بسط كبير، تفرش تحت السجاد والبسط الصوفية.

هـ - مصنوعات أخرى كموائد الطعام وسجاجيد الصلاة والمراوح والمكانس وغيرها. ومن الثروات الطبيعية التي تتوافر في بلاد زهران الثروة المعدنية، فقد اكتشف في الأعوام الأخيرة وجود بعض المعادن في أماكن مختلفة من هذه البلاد وهي :

١ - وادي الخضراء وجبل الهرمل، ويقعان في غرب سلسلة جبال عيان التي تمتد من شمال شرق قرية بني سار بقبيلة بني عامر محاذية لوادي بيده.

٢ - جبل المعملة ومنور بالقرب من قرية محوية.

٣ - جبل السود في شمال قرية منحل.

ويوجد بالموقعين الأخيرين معادن الكالكوبيرايت والفاليرايب ونسب من الذهب والفضة. كما ورد في تقرير رسمي لوزارة البترول والثروة المعدنية نشر في إحدى الصحف المحلية أن التقديرات المبدئية للخام في الموقع الأول (جبال عيسان) يبلغ ٢٤ مليون طن من النحاس والمعادن الأخرى.

وفي تهامة زهران يوجد موقعان يحتمل وجود معادن بهما وهما جبل صلح وجبل صميع على مقربة من بلدة قلوة، ويهذين الموقعين آثار تدل على محاولات لاستخراج معادن منهما في وقت سابق.

موقع بلاد زهران الجغرافي في أعالي جبال السروات، على ارتفاع يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر، وهطول كمية وافرة من الأمطار عليها ساعد على تغطية مساحات من جبالها وأوديتها بغابات من الأشجار، وخصوصاً الجهات المائلة على سهل تهامة، هذا بالإضافة إلى مناخ هذه البلاد الذي يمتاز بلطفه واعتداله صيفاً، كل هذه العوامل مجتمعة، تجعل من بلاد زهران مصيفاً ومنتجعاً سياحياً، خاصة إذا اهتم أبناء هذه البلاد والمسؤولون بها بتوفير الخدمات السياحية التي قد تشجع المزيد من سكان بقية مناطق المملكة على ارتيادها والتمتع بطبيعتها ومناخها البديع.



الطبيعة البكر في بلاد زهران : الماء والخضرة والهواء النقي

ومع أن بلاد زهران في حاجة إلى بعض الخدمات السياحية وفي مقدمتها الفنادق إلا أن البديل موجود ويكمن في طبيعة المنطقة البكر، وما يتمتع به سكانها من صفات حميدة منها: كرم الضيافة وساحة الأخلاق. كما أن كل بقعة من بلاد زهران تعتبر متنزهاً طبيعياً يسر العين ويبهج النفس.

ومن أهم الأماكن السياحية في زهران:

- ١ - غابة عمضان: على بعد ٥٥ كيلومتراً شمال مدينة الباحة وتكثر فيها أشجار الزيتون البرى والنباتات العطرية.
- ٢ - غابة جبل الانصب: وتطل على سهل تهامة، وهي على مقربة من بلدة المنندق، ومعظم أشجارها من الزيتون والعرعر.
- ٣ - غابة الحذب: ببلاد دوس في شمال منطقة الباحة.
- ٤ - غابة برحرح: غربي وادي برحرح.
- ٥ - غابة مخلوه: جنوب قرية المشايعة وأشجارها من الزيتون البرى والعرعر والشث والطباق.
- ٦ - المسيكة: حى بنى سار بقبيلة بنى عامر في شمال شرق الباحة، وبه أشجار كثيفة من العرعر وبه مياه جارية.



غابة بالقرب من بلدة المنندق

مر التعليم في بلاد زهران بمرحلتين هامتين هما :

١ - مرحلة التعليم في المساجد والبيوت .

٢ - مرحلة التعليم في المدارس الحكومية .

١ - مرحلة التعليم في المساجد والبيوت :

حرص سكان بلاد زهران في الماضي على تعليم أبنائهم قراءة القرآن الكريم وما تيسر من الحديث النبوي الشريف والفقه الإسلامي ، وذلك تهديباً لأخلاقهم وتعريفاً لهم بمبادئ دينهم الإسلامي الحنيف .

وكان التعليم يتم في بيوت أئمة المساجد أو في مساجد القرى ، فكان طلاب كل قرية يقصدون إلى المكان المتفق عليه مع معلمهم «الفقيه» ويتجمعون حوله في حلقات أشبه بحلقات الذكر ، ويبدأ كل طالب مصحفه ولوحه الخشبي ، فيبدأ المعلم بتعليمهم حروف الهجاء ، حتى إذا أتقنوها نطقاً وكتابة أخذ يدرسهم في المصحف الكريم والحديث والفقه .

وتنتهي عادة دراسة الطالب بانتهاؤه من قراءة المصحف بكامله وحفظه للدروس المقررة في الحديث والفقه ، فيغادر الحلقة ليترك الفرصة لطلاب آخر . ويدفع أولياء أمور الطلاب للمعلم مبلغاً رمزياً من المال في مناسبات خاصة كالأعياد مثلاً ، ومن لم يستطع دفع ذلك المبلغ البسيط للمعلم أعطاه مقداراً من القمح أو الشعير في نظير ذلك .

ومع أن هذه الطريقة في التعليم تعتبر في وقتنا الحاضر بدائية ولا تحقق الهدف المنشود ، إلا أنه كان لها أثرها الفعال في ذلك الوقت الذي لم تعرف فيه المدارس النظامية .

وهكذا استمر التعليم إلى وقت ليس ببعيد حيث فتحت المدارس الحكومية المنتظمة وقضى بالتالي على تلك الطريقة البدائية في التعليم .

تمر بلاد زهران حالياً بمرحلة تعليمية كبرى ، لا نخطئ إذا أسميناها طفرة ، فإقبال الناس على التعليم شديد ، ومطالباتهم بفتح المزيد من المدارس سيل لا ينقطع ، وأعداد الطلاب تتضاعف بصفة مستمرة ، ووزارة المعارف الجلييلة تبذل جهوداً كبيرة لرفع مستوى بلاد زهران التعليمي عن طريق فتح المدارس في جميع القرى المستحقة لها ، وتزويدها بما تحتاج إليه من مدرسين وكتب وأثاث مدرسي ، بالإضافة إلى المعونات المادية التي تقدمها لطلاب المدارس المتوسطة (المغتربين) تشجيعاً لهم على الاستمرار في الدراسة ليشاركوا في بناء صرح مجتمعهم على أسس سليمة .

وقد فتحت أول مدرسة نظامية في بلاد زهران في عام ١٣٥٨ هـ في قرية بني سار أكبر قرى قبيلة بني عامر ، وبعد أحد عشر عاماً فتحت مدرستان في بطحان والعصدا . ومن ثم بدأت وزارة المعارف الجلييلة في فتح العديد من المدارس في كل عام في بلاد زهران سراة ، وتهامة ، وما زالت توالي جهودها الموفقة في هذا المجال .

وتمشياً مع الحديث النبوي الشريف : «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» فقد فتحت وزارة المعارف عدداً كبيراً من المدارس لمكافحة الأمية في مختلف قرى زهران ، وإقبال كبار السن عليها ممن فاتهم قطار التعليم منقطع النظير ، مما يدل على إدراك سكان زهران لأهمية التعليم في تطوير المجتمع .

وبما أن التعليم واجب على كل مسلم ومسلمة ، فقد قامت الرئاسة العامة لتعليم البنات بفتح العديد من المدارس لتعليم الفتيات ولم يعارض الأهالي في فتح تلك المدارس ، بل دفعوا بناتهم إليها دفعاً لإدراكهم وإيمانهم بأن التعليم ليس وفقاً على البنين فقط ، وإنما يشمل البنين والبنات كما نص ديننا الحنيف .

ويعمل في مدارس البنات بزهران مدرسات من فتيات زهران تلقين تعليمهن في المدن ، ثم عدن للمساهمة في بناء مجتمعهن .

كما أن نسبة كبيرة من العاملين في مدارس البنين من شباب زهران . ويشرف على سير التعليم في سراة بلاد زهران مكتب للتعليم في الاطاوله يتبع لإدارة التعليم بالباحة .

أما مدارس تهامة زهران فيشرف عليها مكتب إشراف المخواه أكبر قرى قبيلة بني عمر العلي بزهران .

تسير المملكة العربية السعودية بفضل رعاية جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز، وولي عهده الأمين، سيراً حثيثاً في طريق التطور والمدنية الحديثة وفق تعاليم ومبادئ ديننا الإسلامي الحنيف وعاداتنا العربية الأصيلة، ومجتمع بلاد زهران جزء لا يتجزأ من المجتمع السعودي الكبير الذي نهضت به حكومتنا الرشيدة في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وتتمر بلاد زهران كغيرها من بلدان المملكة العربية السعودية بتقدم ملموس، فمن الناحية العمرانية كان سكان هذه البلاد إلى وقت قريب جداً يبنون منازلهم من الحجر والأخشاب بحكم موقع بلادهم الجغرافي في مناطق جبلية تكثُر فيها الأحجار الصالحة للبناء، وتسقف تلك المنازل غالباً بالخشب، ومنه تصنع الأبواب والنوافذ، وتطلى بزيت القطران ليزيدها متانة، وفي الوقت الحاضر بدأ شكل البناء يتغير واستعاض السكان عن الخشب والحجر بالأسمنت المسلح، وأخذوا في تشييد منازلهم على الطراز الحديث، يدفعهم إلى ذلك إدراكهم للفارق الكبير بين المنازل الحجرية والمنازل المسلحة من حيث التكاليف وسرعة الإنجاز وجمال المظهر، هذا فضلاً عن القروض العقارية التي وفرتها حكومتنا الرشيدة للمواطنين وهيأت السبل للاستفادة منها، خاصة وأن الدولة أخذت زمام المبادرة، وشرعت في بناء مقرات الإدارات الحكومية والمباني المدرسية على الطراز الحديث الذي يوفر للمباني الإضاءة اللازمة والتهوية الكافية اللتين تفتقر إليهما المنازل القديمة.

ومن الملاحظ أن أول ما يلفت انتباه الزائر لبلاد زهران كثرة حصونها الشائخة الضخمة ذات الأبراج العديدة، ففي هذه البلاد ما لا يقل عن خمسمائة حصن منتشرة في جميع القرى، وقد بنى الناس تلك الحصون قبل قيام العهد السعودي الزاهر، عهد العدل والأمان لحماية أنفسهم من غارات القبائل الأخرى، والمتمعن في بناء تلك الحصون يدرك على الفور الجهود الكبيرة التي بذلت في سبيل إقامتها لتقف شائخة أمام عاديات الزمن، ولو أنها أقيمت في وقتنا الحاضر لما كانت هناك غرابة، ولكنها بنيت في وقت لم يعرف فيه السكان أية وسيلة من وسائل الهندسة المعمارية الحديثة بل كان اعتمادهم يتركز على حاجتهم الماسة لتلك المباني الحصينة،

وبالتالي عملهم الجاد لتحقيق تلك الحاجة . وقد أصبحت هذه الحصون الآن عبارة عن آثار تاريخية يعتز بها أبناء زهران ويحرصون على بقائها كجزء من تاريخهم وتراثهم .



أحد الحصون الحربية القديمة

وكانت الكهرباء قبل ثلاثين عاماً تقريباً تعد من الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها بيسر وسهولة ، أما الآن فقد أصبحت ضرورة من ضرورات المجتمعات الحديثة السائرة بخطى حثيثة في مضمار المدنية المتطورة ، ولم يعرف سكان بلاد زهران الكهرباء إلا منذ وقت قريب ، وأدركوا فوائدها الجمة ، الأمر الذي أدى إلى انتشار مولداتها العامة والخاصة في كثير من القرى ، ونتج عن ذلك قيام بعض الجمعيات التعاونية كان من أهم أغراضها إنارة القرى

بالكهرباء ، هذا بالإضافة إلى إنشاء عدة شركات أهلية في الأطاولة وبني حسن وبني عامر، وقد عمت الكهرباء حالياً بحمد الله ثم بفضل أولى الأمر جميع قرى بلاد زهران السراة حيث تغذيها شركة كهرباء الباحة الموحدة ، والعمل جار على قدم وساق لتمديد التيار الكهربائي إلى القسم التهامي من زهران ، آمليين أن يتحقق ذلك قريباً .

وفيما يتعلق بالمواصلات ووسائلها ، فكان سكان بلاد زهران إلى وقت ليس ببعيد يعتمدون في تنقلاتهم على الدواب من جمال وحمير ، وكانت هي وسائل النقل المتعارف عليها ، وكان هناك أناس مخصوصون يقومون بنقل المسافرين والبضائع على دوابهم نظير أجر زهيد .

أما الآن فقد تغيرت الأوضاع ، وتطورت وسائل المواصلات نتيجة لتحسن أحوال الناس المادية ، ولقيام حكومتنا الرشيدة بشق الطرق داخل زهران وخارجها ، وأصبحت كل قرية ولله الحمد مربوطة بأختها في كافة أنحاء المنطقة ، ولكنها لا تزال تنتظر السفلة ، ولكل مواطن زهراني في حكومتنا بعد الله سبحانه وتعالى أمل كبير في إنجاز ذلك سريعاً ، فلقد عودتنا دائماً تحقيق كل ما من شأنه إسعاد المواطنين في كافة أرجاء البلاد .



القديم والحديث في العمارة في بلاد زهران

ويخترق خط الجنوب بلاد زهران من شمالها إلى جنوبها، وقد قامت إدارة الطرق في الباحة بجهود طيبة في شق الطرق إلى قرى المنطقة في السراة، وسيتم قريباً إن شاء الله سفلتة بعض الخطوط المتفرعة من الخط العام، ومنها الطرق المؤدية من الباحة إلى كل من بلاد دوس، ووادي بيعة، وغيرهما، تلك الطرق التي ستخدم ولا شك عدداً كبيراً من القرى، وهنالك دراسة لفتح وتعبيد بعض الطرق الهامة في تهامة زهران، ويربط طريق عقبة الباحة وطوله (٤٧) كيلومتراً، سراة غامد وزهران بتهامة، ويعتبر هذا الطريق أحد المشاريع الهامة بمنطقة الباحة حيث يتخلله (٦٤) جسراً، مجمل أطوالها (٥٧٤٧) متراً، و(٣٤) نفقاً مجموع أطوالها ٢٠١١ متراً بتكلفة إجمالية تزيد على خمسمائة مليون ريال. ويلاحظ أن هذا الطريق يختصر المسافة بين سراة زهران وغامد وتهامة، ويخفف الضغط المروري على طريق الطائف - نجران.

١ - كتب عربية قديمة :

* ابن الأثير، عز الدين على بن محمد (ت ٦٣٠هـ).

١ - الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٣٨٥هـ.

٢ - اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت ١٤٠٠هـ.

* الأزدي، يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ).

٣ - تاريخ الموصل، القاهرة ١٣٨٧هـ.

* الأزرقى، محمد بن عبدالله (ت ٢٥٠هـ).

٤ - أخبار مكة، غتنقة ١٣٧٥هـ.

* الأصفهاني، على بن الحسين (ت ٣٥٦هـ).

٥ - الأغاني، بيروت ١٣٨٣هـ.

* الأمدى، الحسن بن بشر (ت ٣٧١هـ).

٦ - المؤتلف والمختلف، القاهرة ١٣٨١هـ.

* الألوسى : محمد محمود شاكر.

٧ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٣هـ.

* ابن الأنبارى، عبدالرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ).

٨ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مكتبة الأندلس، بغداد ١٣٩٠هـ.

* الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ).

٩ - البيان والتبيين، بيروت ١٣٨٨هـ.

* ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ).

١٠ - المحبر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١١ - المنمق في أخبار قریش، دار المعارف العثمانية حيدار آباد الدكن ١٣٨٤هـ.

* ابن حجر، أحمد بن على العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

١٢ - الإصابة في تمييز الصحابة، دار صادر، بيروت ١٣٢٨هـ.

- * ابن حزم، على بن محمد (ت ٤٥٦ هـ).
- ١٣- جمهرة أنساب العرب، دائرة المعارف، القاهرة ١٣٨٢ هـ.
- * ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ).
- ١٤- وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت.
- * ابن دريد، محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ).
- ١٥- الاشتقاق، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٨ هـ.
- * الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ).
- ١٦- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١ هـ.
- * الزبيرى، المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦ هـ).
- ١٧- نسب قريش، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- * ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ).
- ١٨- الطبقات الكبرى، دار بيروت، بيروت.
- * السمعاني، عبدالكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ).
- ١٩- الأنساب، دائرة المعارف العثمانية، حيدار آباد الدكن ١٣٨٢ هـ.
- * السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٥٨١ هـ).
- ٢٠- الروض الأنف، مطبعة الجمالية، القاهرة ١٣٣٢ هـ.
- * الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ).
- ٢١- تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة ١٣٨٧ هـ.
- * ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ).
- ٢٢- العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨١ هـ.
- * ابن عساكر، على بن الحسن (ت ٥٧١ هـ).
- ٢٣- التاريخ الكبير.
- * القالى، اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ).
- ٢٤- الأمالي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.
- * القرطبي، يوسف بن عبدالله بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ).
- ٢٥- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٨ هـ.
- * الكلبي، هشام بن محمد (ت ٢٠٤ هـ).

- ٢٦- كتاب الأصنام، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٣هـ.
- * المرزباني، محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ).
- ٢٧- معجم الشعراء، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٥٤هـ.
- * ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ).
- ٢٨- لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- * المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ).
- ٢٩- مروج الذهب، دار الأندلس، بيروت ١٣٨٥هـ.
- * ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت ٢٠٧هـ).
- ٣٠- الفهرست، المطبعة الرحمانية، القاهرة.
- * الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ).
- ٣١- كتاب المغازي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت.
- * ابن هشام، عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ).
- ٣٢- سيرة النبي ﷺ، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
- * الهمداني، الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤هـ).
- ٣٣- صفة جزيرة العرب، دار اليمامة، الرياض ١٣٩٧هـ.
- * ياقوت، شهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ).
- ٣٤- معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة ١٣٥٥هـ.
- ٣٥- معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ.
- * اليعقوبي، أحمد بن أبي واضح (ت ٣٨٤هـ).
- ٣٦- تاريخ اليعقوبي، بيروت ١٣٧٩هـ.
- * أبويعلی، الحسن بن محمد.
- ٣٧- طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت.

ب - كتب عربية حديثة :

* أمين الريحاني .

٣٨- تاريخ نجد وسيرة الملك عبدالعزيز، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت .

* أحمد عبدالغفور عطار.

٣٩- مقدمة كتاب الصحاح، الطباعة الثالثة، بيروت ١٤٠٢هـ.

* جواد علي .

٤٠- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت

١٣٩٦هـ.

* حمد الجاسر.

٤١- في سراة غامد وزهران، دار اليمامة، الرياض ١٣٩١هـ.

* خير الدين الزركلي .

٤٢- الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٩هـ.

* صلاح الدين المختار.

٤٣- تاريخ المملكة العربية السعودية.

* عمر رضا كحالة.

٤٤- جغرافية شبه جزيرة العرب .

٤٥- معجم المؤلفين، دار أحياء التراث العربي، بيروت .

* فؤاد حمزة.

٤٦- في بلاد عسير، مكتبة النصر الحديثة، الرياض ١٣٨٨هـ.

* يوسف خليف.

٤٧- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف القاهرة ١٣٧٩هـ.

الصفحة	
٩-١٠	- المقدمة
١١-١٧	- لمحة جغرافية
١٨-٣٨	- نبذة تاريخية
٣٩-٤٠	- الناحية الإدارية
٤١-٥٩	- الحياة الاجتماعية
٦٠-٧٧	- الحياة الاقتصادية
٧٨-٧٩	- السياحة
٨١-٨٢	- التعليم
٨٣-٨٦	- مظاهر التطور
٨٧-٩٠	- المصادر والمراجع
٩١	- المحتويات

المؤلف في سطور:

محمد بن مسفر بن حسين الزهراني



- تاريخ الميلاد ومكانه: ١٣٦٣هـ وادي قريش ببلاد زهران.
- الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية بمكة المكرمة.
- الدراسة الجامعية: بكالوريوس تاريخ ١٣٨٧هـ، من كلية الآداب - جامعة الرياض.
- من ١٣٨٧هـ حتى ١٣٩١هـ، عمل الباحث بوزارة المعارف:
 - ١ - مدرساً للمواد الاجتماعية بمتوسطة وثانوية الأطاولة ببلاد زهران - منطقة الباحة
 - ٢ - موجهاً تربوياً مساعداً
 - ٣ - مديراً لمكتب التعليم بالأطاولة
- في سنة ١٣٩١هـ انتقل الباحث إلى جامعة الرياض سابقاً في وظيفة معيد بقسم التاريخ في كلية الآداب
- في سنة ١٣٩٣هـ ابتعث الباحث إلى جامعة Exeter ببريطانيا لدراسة الماجستير.
- في سنة ١٣٩٥هـ حصل الباحث على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي.
- ١٣٩٦هـ عمل الباحث محاضراً بقسم التاريخ - كلية الآداب جامعة الرياض.
- ١٣٩٧هـ ابتعث الباحث إلى جمهورية مصر العربية لتحضير الدكتوراه.
- ١٣٩٩هـ حصل الباحث على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى.
- ١٣٩٩هـ عمل الباحث استاذاً مساعداً بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الرياض.
- ١٤٠١هـ انتقل الباحث إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعمل وكيلاً لعمادة شؤون المكتبات.
- ويعمل الباحث حالياً استاذاً مشاركاً بقسم التاريخ والخضارة بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.